بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا

كلية الدراسات العليا

جهود النحاة واللُغويين القدامى في حصر اللحن وتصويبه

(النحو والصرف)

Grammarians and Linguists Effort for Listing and correcting solecism

بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه في اللُغة العربية

إعداد الطالب:

علي محمد ردم بلي

إشراف البروفيسور:

مبارك حسين نجم الدين بشير

العام الجامعي (1442هـ / 2021م)

استهلال

قال تعالى:

اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (1) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (2) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (3) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (4) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (5)

صدق الله العظيم

سورة العلق الآيات من (1-5).

إهداء

أُهدي أحرف ذاكرتي:

إلى أمي العزيزة حفظها الله ومتعها بالصحة والعافية.

وإلى والدي العزيز متعه الله بالصحة والعافية ،،

إلى الاخوان والأخوات جميعا،،

ولكل أفراد الأسرة الكريمة

حفظها الله ورعاها"

شكروعرفان

أول من يشكر ويحمد آناء الليل وأطراف النهار ، هو العلي القهار، الأول والأخر والباطن . الذي أغرقنا بنعمه التي لا تحصى ولا تعد وأغدق علينا برزقه الذي لا يفنى ، وأنار دروبنا ، فله جزيل الحمد والثناء العظيم ، هو الذي أنعم علينا إذ أرسل فينا عبده ورسوله "محمد بن عبد الله بن عبد المطلب" عليه أزكى الصلوات وأطهر التسليم ، أرسله بقرآنه المبين فعلمنا مالم نعلم وحثنا على طلب العلم أينما وجد.

وبأي أبيات القصيد نعبر؟ في كل لمسة من وجودكم وأكفكم للمكرمات أسطر كنتم كسحابة معطاة سقت لله الحمد كله والشكر كله أن وفقنا وألهمنا الصبر على المشاق التي واجهتنا لإنجاز هذا العمل المتواضع والشكر موصول إلى الوالد والوالدة متعهم الله بالصحة والعافية ونقول لهم ، من أي أبواب الثناء سندخل؟

الأرض فاخضرت..،

ونشكر كل أفراد أسرتي الكريمة،،،

ونشكر لجنة المناقشة الدكتور/ محمد علي أحمد والدكتور/دفع الله حمدالله حسين، لكم جزيل الشكر ، لو كان لي الفا لسان شاعر اوفَيتَكُم مَدحاً وكَانِ لزاماً أو كُنت رساماً رسمت جهادكم عَجَباً فَمالِي لم اكُن رسَاما،،،

اتقدم بجزيل الشكر والتقدير لإدارة جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا التي منحتني هذه الفرصة.

كما أتقدم بجزيل الشكر والامتنان العظيم والتقدير العميق إلى العلامة ، البروف مبارك حسين نجم الدين بشير، الذي تفضل مشكوراً بقبول الإشراف على هذه الرسالة وحرصه على اكتمالها ومنحني وقته الثمين وعلمه الغزير وكرمه الفياض وتوجيهه وإرشاده وتشجيعه المتواصل ولم يبخل لي بشئ من علمه الوافر وخبراته العلمية التي إرتوى منها الكثير من الدارسيين ،فأسأل الله تبارك وتعالى أن يبارك له في وقته وأن يمد له في عمره ويجزل له الثواب ويسهل له الصعاب أنه كريم عطاء وهاب ، بارك الله فيك وفي علمك الذي انتفع به كل من طلبه منك، فجزاك الله خير الجزاء ومتعك الله بالصحة والعافية ،ونشكر كل من ساعدني حتي ولو بكلمة أو دعوة صالحة..،

مستخلص البحث

عنوان هذا البحث هو: جهود النحاة واللغويين القدامى في حصر اللحن ومعالجته وقد هدف هذا البحث إلى : تعريف اللحن وتحديد أنواعه ، وتوضيح أسباب وقوع اللحن في العربية الفصحى وذكر جهود اللغويين والنحاة القدامى في ملاحقة اللحن ومعالجته ، وقد أوضح البحث من خلال فصوله ومباحثه مفهوم اللحن وأنواعه وبين أسباب وقوعه كما بين الجهود التي بذلت لمعالجته وحصره وتصويبه، اتبع الباحث في هذا البحث المنهج الوصفي لمناسبته لطبيعة موضوع هذا البحث ، كما استعان بالمنهج التاريخي عند اقتضاء الضرورة ، وقد وصل البحث إلى عدة نتائج منها : أن مصطلح اللحن عند العرب له دلالات متعددة بيد أن المراد عند النحاة هو الانحراف في الكلام والكتابة عن المستوى الصوابي صوتاً وصرفاً ونحواً ودلالةً .

وهناك أسباب عديدة ساهمت في وقوع اللحن مثل الازدواجية اللغوية بدخول الأعاجم في دائرة العربية وسوء الاستماع وغيرها.

Abstract

This study is entitled “Grammarians and Linguists’ Effort for Listing and Correcting Solecism”. The study aims to define solecism with focus on its types and reasons behind this phenomenon in standard Arabic. The study has traced efforts made by grammarians and linguists to correct this **phenomenon.** The researcher has employed descriptive method because it suits the nature of the study in addition to the historical approach when necessary. The study has arrived at a number of conclusions. According to the Arabs, solecism as a term has many meanings but from the grammarian point of view it is deviation from linguistic norms - pronunciation, morphology, grammar and semantics. There are several reasons behind solecism. One reason is bilingual newcomers of non Arabs who happened to speak Arabic language, bad listening etc

فهرس الموضوعات

الموضوع	رقم الصفحة
البسملة	أ
استهلال	ب
إهداء	ج
الشكر و العرفان	د
فهرس الموضوعات	هـ
المقدمة	1
أهداف البحث	1
أهمية البحث	2
مشكلة البحث	2
سؤالات البحث	2
منهج البحث	3
هيكل البحث	3
الفصل الأول : مفهوم اللحن وأنواعه وما يتعلق به	
المبحث الاول: مفهوم اللحن.	6
المبحث الثاني: أنواع اللحن (صوتي) و(صرفي) و(نحوي) و(دلالي).	12
المبحث الثالث: دور اختلاف اللغات في وقوع اللحن .	16
المبحث الرابع: دور السماع في تفشي اللحن .	21
الفصل الثاني: أسباب وقوع اللحن في العربية الفصحى:	
المبحث الاول: نقط الإعراب والأعاجم من أسباب اللحن في القراءة والكتابة.	25

المبحث الثاني: سوء الاستماع وسوء التلقي من أسباب اللحن في الكلام .	28
المبحث الثالث: دخول الأعاجم في الإسلام واستخدامهم اللغة العربية من أسباب اللحن .	30
البمحث الرابع: أسباب وقوع اللحن في العربية الفصحى .	31
الفصل الثالث : فشو اللحن وكثرته وأسباب انتشاره وجهود النحاة واللغويين في حصره ومعالجته.	
المبحث الاول: جمع الألفاظ الملحونة وتصويبها.	39
المبحث الثاني: وضع قواعد النحو والصرف.	42
المبحث الثالث: فشو اللحن وكثرته في العصر الأموي والعباسي .	48
المبحث الرابع: أسباب انتشار اللحن ومظاهره .	54
الفصل الرابع : نماذج من كتب لحن العامة وبيان كيفية معالجتها.	
المبحث الاول: الكسائي وما تلحن فيه العامة .	61
البمحث الثاني: الحريري وبيان ما تلحن فيه الخاصة.	66
المبحث الثالث: الجواليقي والخفاجي في حصر المعرب والدخيل.	69
المبحث الرابع: عوامل التلاقي بين كتب النحو و كتب اللحن .	76
النتائج والتوصيات	77
فهرسة الآيات القرآنية	78
المصادر والمراجع	79

مقدمة

موضوع هذا البحث هو اللحن بكل أنواعه التي طرأت على اللغة العربية الفُصحى إبان عصر الفتوحات والعصور التالية نتيجةً لدخول غير العرب في الإسلام أو تحت مظلة الدولة الإسلامية واستخدامهم اللُغة العربية للعبادة والتعليم والتواصل والتذرع وغير ذلك ، وقد فطِن الولاة والأئمة من اللُغويين لما طرأ على العربية من مظاهر اللحن فطفقوا يلاحقونه بجمعه وبيانه وبيان صوابه ولهذا كثرت الرسائل والمؤلفات التي تتناول اللحن ما بين العامة والخاصة .

أهداف البحث

يسعى هذا البحث لتحقيق الأهداف التالية:

1 . تعريف اللحن وتحديد أنواعه .

2 . توضيح أسباب وقوع اللحن في العربية الفصحى .

3 ذكر جهود اللغويين القدامى في ملاحقة اللحن ومعالجته .

4 بيان كيفية علاج اللغويين القدامى اللحن .

أهمية البحث

ترجع أهمية هذا البحث إلى كونه يتناول قضية لا زالت العربية الفصحى تعاني منها وهي اللحن وما تعلق به من الخطأ والتحريف والتصحيف في الكلام والكتابة والقراءة ، و بضبط الكلام وضبط الكتابة تتضح الأمور وتفهم الأغراض وتحفظ الحقوق وتسلم الأعراض والأموال والعبادات ، وفي هذا خدمة للدين بالإسهام في تنزيل أحكامه من النصوص قرآناً وسنةً على أعمال المكلفين وفي هذا من الأهمية ما فيه .

مشكلة البحث

تكمن مشكلة هذا البحث في بيان جهود النحاة واللغويين القدامى في حصر اللحن ومحاولة علاجه وبيان الصواب في استخدام الألفاظ وكتابتها ونطقها وكيفية الإفادة من تلك الجهود في معالجة أخطاء استخدام اللغة في الواقع المعاصر.

سؤالات البحث

يسعى هذا البحث ليجيب عن السؤالات التالية:

1 ـ ما مفهوم اللحن وما أنواعه؟

2 ـ ما أسباب وقوع اللحن في اللغة العربية الفصحى إبان الفتوحات وما بعدها؟

3 ـ ما الجهود التي بذلها النُحاة واللغويين في حصر اللحن ومعالجته؟

4 ـ كيف كان علاج النحاة واللغويين القدامى اللحن وملاحقته؟

منهج البحث

يتبع الباحث في هذا البحث المنهج الوصفي مع إمكان الاستفادة من المنهج التاريخي.

هيكل البحث

يمكن لمخطط هذا البحث أن يأتي في أربعة فصول وكل فصل يحتوي على أربعة مباحث بيانها كما يلي :

الفصل الأول : مفهوم اللحن وأنواعه وما يتعلق به

ويضم المباحث التالية:

المبحث الأول : مفهوم اللحن.

المبحث الثاني : أنواع اللحن (صوتي) و(صرفي) و(نحوي) و(دلالي).

المبحث الثالث : دور اختلاف اللغات في وقوع اللحن .

المبحث الرابع : دور السماع في تفشي اللحن .

الفصل الثاني: أسباب وقوع اللحن في العربية الفصحى:

ويضم من المباحث ما يلي :

المبحث الأول : نقط الإعراب والأعاجم من أسباب اللحن في القراءة والكتابة.

المبحث الثاني : سوء الاستماع وسوء التلقي من أسباب اللحن في الكلام .

المبحث الثالث : دخول الأعاجم في الإسلام واستخدامهم اللُغة العربية من أسباب اللحن .

المبحث الرابع :أسباب وقوع اللحن في العربية الفصحى .

الفصل الثالث : فشو اللحن وكثرته وأسباب انتشاره وجهود النحاة واللُغويين في ومعالجته.

ويضم المباحث التالية :

المبحث الأول : جمع الألفاظ الملحونة وتصويبها.

المبحث الثاني : ضع قواعد النحو والصرف.

المبحث الثالث : فشو اللحن وكثرته في العصر الأُموي والعباسي .

المبحث الرابع : أسباب انتشار اللحن ومظاهره .

الفصل الرابع : نماذج من كتب لحن العامة وبيان كيفية معالجتها

ويضم المباحث التالية:

المبحث الأول : الكسائي وما تلحن فيه العامة .

المبحث الثاني : الحريري وبيان ما تلحن فيه الخاصة.

المبحث الثالث : الجواليقي والخفاجي في حصر المعرب والدخيل.

المبحث الرابع : عوامل التلاقي بين كتب النحو و كتب اللحن .

الفصل الأول

مفهوم اللحن وأنواعه وما تعلق به

المبحث الأول : مفهوم اللحن .

المبحث الثاني : أنواع اللحن " صوتي " و "صرفي " و "نحوي " و " دلالي ".

المبحث الثالث : دور اختلاف اللغات في وقوع اللحن .

المبحث الرابع : دور السماع في تفشي اللحن .

المبحث الأول

مفهوم اللحن

تطلق كلمة " اللحن " في اللغة العربية على عدة معانٍ جمعها بن بري في قوله: " اللحن ستة معان، هي: الخطأ في الإعراب واللغة والغناء والفِطنة والتعريض والمعنى " (ابن منظور، 2003م، ص30) وهذه المعاني على النحو التالي :

أولاً: الخطأ في الإعراب، والذي نجده في قول الحكم بن عبدالله الأسدي: حيث يقول: ليت الأمير أطاعني فشفيته من كل من يكفي القصيد ويلحن. (قال هذا في هجاء عبدالملك بن بشير بن مروان، " 102 ـ 103 هـ").(ابن منظور، 2003م ،ص30).

ثانياً: اللغة، والذي نجده في قول عمر رضي الله عنه: " تعلموا السنة والفرائض واللحن كما تعلموا القرآن الكريم "، (ابن الأثير، 1979م، ص241).

ثالثاً: الغناء وترجيع الصوت والتطريب، ونجده في قول يزيد بن النعمان:

لقد تركت فؤادك مستجناً *** مطوقة على فنن تغني.(البيت في اللسان مادة ، ل، ح ،ن).

رابعاً: الفِطنة، والذي نجده في قول النبي صلى الله عليه وسلم " إنكم لتختصموا إلي، وعسى أن يكون بعضكم ألحنُ بحجتِهِ من الآخر، فمن قضيت له بشئ من حق أخيه فإنما أقطع له قطعة من النار " (ابن الأثير،1979م ، ص242). غير أن كثير من اللُغويين يفرقون من الناحية الصرفية بين لحن بفتح عين الكلمة لحَن ولحِن فيجعل لحَن يَلحَن لحناً،الفِطنة والفهم مصدره بفتح الحاء وما ضيه بالكسر مثل فطِن.

خامساً: التعريض والإيما، والذي نجده في قول القتال الكلابي: ولقد لحنت لكم لكيما تفهموا ووحيت وحياً ليس بالمرتاب. (القتال الكلابي، 1989م، ص20). وهذا هو التعريض الذي ألف

فيه بن دريد (ت 321هـ) كتابه يسمى الملاحن حيث جاء في الوسيط الملاحن كالألغاز يحتاج في حلها إلي فِطنة.

سادساً: المعنى والفحوى، والذي نجده في قوله تعالى: (ولتعرفنهم في لحن القول) أي فحواه ومعناه ومذهبه. (القرآن الكريم، سورة محمد، الأية 30) فهذه مجموعة المعاني التي شملت لفظ اللحن في اللغة وإن كان البعض يحصرها في الخطأ الإعرابي والتعريض، كاللأصفهاني (ت 350هـ) وبن فارس (ت 395هـ) يري أن اللحن يعني فحوى الكلام وإزالة الإعراب عن جهته والفِطنة (أحمد بن فارس، 1986م، ص844). فاللحن إذن ميلُ الكلام عن سننه وقصدهِ، ولذلك الميل صورتان، صورة محمودة مستحسنة: وهي الميل بالكلام عن التصريح، وصرفه بمعناه إلى تعريض وفحوى وهو محمودُ عند أكثر الأدباء من حيث البلاغة وإياه قصد الشاعر بقوله: " وخير الحديث ما كان لحناً "، صورة مذمومة مستقبحة: وهي صرفه عن سننه الجاري إما بإزالة إعراب أو تصحيف، (الراغب الأصفهاني، تحقيق صفوان عدنان داوودي،1412هـ . 1992م، ص738 ـ ص739).

وقد رصدت كتب اللغة والأدب نشأة هذه الظاهرة التي طرأت على اللسان العربي منذا عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وما تلاه من عصور، ونستخلص مما أوردته هذه المصادر أن اللحن بمعنى الخطأ في الإعراب واللغة، وبدأ قليلاً منذا عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، فقد لحن رجل بحضرته فقال: " أرشدوا أخاكم فإنه قد ضل " والظاهر أنه كان معروفاً بهذا الاسم نفسه "اللحن " بدليل ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من قوله: " أنا من قريش ونشأت في بني سعد فأنى لعلها اللحن "، وفي عهد عمر رضي الله عنه، أثبتت المصادر عدداً من حوادث اللحن، منها أنه ورد إليه كتاب أوله "من أبو موسى الأشعري " فكتب عمر لأبي موسى يأمره أن يضرب كاتِبهُ سوطاً " والملاحظ أن اللحن في هذه الفترة بدأ يتسرب إلى قرأة

القرآن الكريم، والدليل على ذلك قصة الإعرابي الذي قدِم أيام عمر رضي الله عنه، وقال: " من يقرئني شيئاً مما نُزل على محمد ؟ " فأقرأه رجل من سورة براءة هكذا: " إن الله بريءُ من المشركين ورسولِه " فقال الأعرابي: أن يكون الله بَرِئ من رسوله فأنا أبرأ منه، فأمر عمر رضي الله عنه، ألا يُقرئُالقرآن إلا عالمُ باللغة (ابن العماد الحنبلي، 1979م،ص18).

واللحن في الاصطلاح اللُغوي: الخطأ في اللُغة في أصواتها أو نحوها أو صرفها أو معاني مفرداتها، فإذا أخطأ الناطق أو الكاتب في واحدة من تلك، فهو قد لحن، والمضارع يلحن وهو لاحِن. (زهدي أبو خليل، 2003م، ص25). ويعد اللحن عيباً لسانياً يقوم على تحريف الكلام عن قواعد الصرف والنحو كما يقوم على مخالفة النطق الفصيح واللفظ السليم. (محمد التنوجي وراجي الأسمر، 2001م، ص497). ويعد الخروج على السنن المألوفة في اللغة العربية عند اللغويين القدامى خطأ لُغوياً أطلقوا عليه اسم اللحن، إذ وصفوه بأنه عيب وقبح ينبغي عدم الوقوع فيه وهذا ما دعا إلى نشوء مبدأ تنقية اللُغة العربية. (يوهان فك، 1980م، ترجمة رمضان عبد التواب، ص36) وقد عرف الدكتور محمد عيد، اللحن بأنه: " خروج الكلام الفصيح عن مجرى الصحة في بنية الكلام أو تركيبه أو إعرابه بفعل الاستعمال الذي يشيع أولاً بين العامة من الناس ويتسرب بعد ذلك إلى لغته الخاصة. (محمد عيد، 1980م، ص12) والتأليف في ظاهرة اللحن أن موضوع اللحن بتصل بدراسة التطور اللغوي من جهة، وبأثار الاختلاط اللُغوي الذي حدث في الأمصار الإسلامية من جهة أخرى، ذلك أن كتب اللحن تبحث في تصويب الاستعمال غير الصحيح والتنبيه عليه فهي من الناحية تعد كتباً تدرس الأساليب اللغوية أكثرمن كونها تدرس المفردات، على أنها اهتمت بالمفردة وبالصوت وبالحركة، غير أن اهتمامها بكل أولئك كان ضمن اهتمامها بالأسلوب، وهي أيضاً تحفظ لنا تاريخ تسرب العامية إلى الألسن من حيث إن هذا الخطأ الذي تنبه إليه هو الذي صار فيما بعد الصورة التي استقرت عليها اللُغة في أمصارنا العربية. (محمد حسن آل ياسين، 1980م، ص169) وكما

ذكرنا سابقاً، أن اللحن يعد عيباً لسانياً يقوم على تحريف الكلام عن قواعد الصرف والنحو، كما يقوم على مخالفة النطق الفصيح واللفظ السليم. (محمد التنوجي وراجي الأسمر، 2001م،ص497). هذا التعريف يحصر اللحن في معناه الإنحرافي والميل عن الصواب إلى الخطأ في النطق والكتابة وعدم الالتزام بقواعد الصرف والنحو، وإن غلب على إطلاقه على الأخطاء الإعرابية أكثر من الأخطاء الصرفية واللغوية العامة عند المتأخرين. والميل هو المعنى المحوري الذي تندرج تحته كل معاني لفظة اللحن (عبد الفتاح سليم،2009م،ص10) وخلاصة القول يرجع مفهوم اللحن في الاصطلاح إلى المعنى العام الذي سبقت الإشارة إليه، هو إمالة الشئ عن جهته ، ويبقى اللحن بمعنى الخطأ هو الأنسب اصطلاحاً. وقد شاع اللحن في العصر الأموي حتى مسُ ألسنة البلغاء من الخلفاء والأمراء وكان مما يسقط الرجل في المجتمع أن يلحن، حتى قال عبد الملك بن مروان وقد قيل له " أسرع إليك الشيب " قال: " شيبني ارتقاءُ المنابر مخافة اللحن " (المصدر السابق نفسه ،ص12). وكان يقول: الرجل ليسألني الحاجة فتستجيب نفسي له، فإذا لحن انصرفت نفسي عنه ". وكان عمربن عبد العزيز يقول: "أكاد أضرس إذا سمعت اللحن " وقد عقد الجاحظ في كتابه (البيان والتبيين) باباً أسماه "باب اللحن " عرض فيه صوراً شتى مما كان يلحن فيه العامة والخاصة في عهود الإسلام الأولى، وتبعه ابن الأنباري فساق أخباراً كثيرة تؤيد شيوع هذه الظاهرة، وذلك في مقدمة كتابه " ايضاح الوقف والإبتداء" ولا شك في أن هذه النماذج التي تناقلتها الكتب هي التي دفعت علماء المسلمين إلى التفكير بوضع قواعد اللُغة العربية التي هي لغة القرآن تحميها من الزلل، لذلك كان أول عمل قاموا به هو ضبط المصحف بالنقط والحركات، وكان للإمام علي وأبي الأسود الدؤلي وتلاميذه وأبي عمرو والخليل وسيبويه والكسائي والفراء لهم الفضل المشهور في النهوض بحماية العربية، وكان كتاب سيبويه أول ما وصل إلى ثمرات هذا الجهد الحقيقي، إذ رسم فيه حدود النحويين معالمه ودرس تراكيب العربية، فكان كتابه أول سياج أريد له أن يحمي

العربية من الزلل، وتبعه النحاة من بعده يسيرون على خطاه جيلاً بعد جيل. ولعل من غير الخفي أن بعض المواضع التي وردت فيها كلمة لحن ومشتقاتها تحت المعاني الخمسة السابقة، يمكن أن ينصرف تحت المعني السادس الخطأ. هذه هي المعاني التي وردت لكلمة " لحن " في المعجمات، وكتب اللغة.

والذي يهمنا في هذه الدراسة هو اللحن بمعنى الخطأ في اللُغة، أصواتها أو نحوها أو صرفها وهذا المعنى متأخر عن المعاني الأخرى لتأخر ظهور اللحن في كلام العرب، وقد أشار ابن فارس في اللحن. ذهب أحمد بن فارس (ت 395هـ) في تعريف اللحن إلى ما يلي: " فأما اللحن بسكون الحاء، فإمالة الكلام عن جهته الصحيحة في العربية، يقال: لحن لحنا. وهذا عندنا من الكلام المولد ، لأن اللحن محدث لم يكن في العرب العاربة الذين تكلموا بطباعهم السليمة، ومما يستفاد من كلام ابن فارس أن اللحن يمكن أن ينظر إليه من زاويتين مختلفتين: الزاوية الأولى معيارية، تعتبر المنقول من كلام العرب نمطاً لا يجوز الخروج عنه، ومن ثم فإن العدول عنه يعد خروجاً عن الصواب فيفيد اللحن من هذه الزاوية معنى الخطأ، ويصبح الخطأ من هذا المنظور مستوى من اللحن ، وليس اللحن كله، وهو الذي عبر عنه ابن فارس بقوله "فأما اللحن بسكون الحاء، فإمالة الكلام عن جهته الصحيحة في العربية.

والزاوية الثانية لسانية تربط الظواهر اللغوية بعصورها، وتنظر إلى التوليد اللغوي من وجهة نظرة تطورية، وتربطه بالتحول الاجتماعي في حياة الجماعة اللغوية، وبالتالي فإن اللحن من هذه الناحية يعني توليداً في اللغة يحدث بدرجات متفاوتة في المعجم والنحو هو ما عبر عنه ابن فارس بـ" الكلام المولد".(أحمد بن فارس، 1400هـ،ص39).

وقد جاء في قصة علي بن يحي المنجم مع الجاحظ، يقول المنجم للجاحظ: مثالك في عقلِك وعِلمِك في الأدب، ينشد قول العزارى ويفسره، على أنه أراد اللحن في الإعراب ؟ وإنما أراد

وصفها بالظرف والفِطنة، وأنها توري بما قصدت له، وتتنكب التصريح به فقال له الجاحظ: قد فطنت لذلك بعد، فرد عليه ابن المنجم، فقيره في كتابك فقال: كيف بما سارت به الركبان.(الجاحظ، 276هـ، ص82 . 83) وذهب المستشرق الألماني " يوهان فك " إلى أن سبب وهم الجاحظ في تفسير معنى اللحن إلى أن لفظ اللحن " اشتهر في الاستعمال المتأخر: الخطأ اللغوي والغناء " (الحموي، ياقوت بن عبد الله الرومي، 626هـ، ص127).

المبحث الثاني

أنواع اللحن "صوتي" و"صرفي" و"نحوي" و"دلالي"

1. اللحن في نطق الأصوات "المستوى الصوتي ": وذلك عندما لايستطيع المتكلم إخراج الصوت من مخرجه، فيبدله بآخر قريب منه، وهذا يحدث مع الأعاجم وهو المعروف باللكنة، والتي هي عُجمة في اللسان وَعِي من ذلك: ما روي من قول قيل لمولاه زياد: أهدوا لنا هَماروهش، فقال: ماتقول؟ ويلك ! فقال: أهدوا لنا أَيراً، فقال زياد: الأول خيرُ.(الدنيوري، 1963م، ص159).ويعتبر المستوى الصوتي من أكثر الجوانب اللغوية اهتماماً من قبل اللُغويين ، والأصوات هي العناصر الأولى المشكلة للغة ، بل يعتبرها البعض . لأهميتها هي اللغة نفسها ، كما يقول ابن جني " حد اللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم (ابن جني ، د.ت ، ص33). ولكل لغة في العالم أنظمتها الصوتية الخاصة بها ، والمتعلم عندما يتكلم لُغة أجنبية يميل إلى نقل نظام لغته الأم بكامله إلى اللغة الأجنبية فينقل إليها فونيمات لغته ومتنوعات الفونيمات ، وينقل النبر وأنماط الإيقاع ، والوقف وأنماط التنغيم وتفاعلها مع الفونيمات الأخرى .

لذا نستطيع أن ندرك أن نطق المتعلم الناطق باللُغة الأجنبية الذي يتعلم اللُغة العربية يختلف اختلافاً واضحاً عن نطق الفرنسي الذي يتعلم كذلك اللُغة العربية ، وأن نطق كليهما يختلف اختلافاً كبيراً عن نطق الصيني الذي يتعلم اللُغة نفسها التي يتعلمانها ، ونادراً ما نعي حقيقة أن الناطق بلغة ما حيث يسمع لغة أخرى لا يسمع في الواقع الوحدات الصوتية لتلك اللغة بل يسمع فيها فونيمات لغته ، ويخطئ في تبيين الاختلافات الفونيمية في اللُغة الأجنبية ما لم تكن لها نظائر في لُغته الأصلية (جولييت غار مادي ، 1990م ، تعريب خليل أحمد خليل ،ص79) .

2. اللحن في الصرف: "المستوي الصرفي" وهو الذي يتعلق ببنية الكلمة ويبدو جلياً في قول يوسف ابن خالد السمتي (ت 189هـ) لعمربن عبيد : ما تقول في دجاجة ذبحت في قفائها قال له عمرأحسن قال : من قفاؤها ، قال : أحسن قال من خفاءها ، قال عمر: ما عناك بهذا؟ قل من قفاها واسترح . ولحن يوسف أيضاً في قوله " هذا أحمرمن هذا " والمراد هذا أشد حمرة من هذا " (الجاحظ ، 1996م ، ص270) وكذلك مثل قولهم: دخل في غمار الناس، وهذا مما يغلط فيه العامة والعرب تقول: دخل خمار الناس، أي فيما لا يواريه ويستره منهم حتى لا يبين.(ابن سلمة،1960، ص246) قال أبو عمرو: يقال أزللت له زلة، ولا يقال زللتُ، وقد أغلقت الباب فهو مغلق ولا يقال مغلوق، وأقفلته فهو مقفل ولا يقال مقفول. (ابن السكيت،1989م،ص227).ويقولون للمطرة ميضة، وبعضهم يقول ميضات، والصواب: ميضأة بالهمزة والجمع مواضئ (الزبيدي،1981م، ص146)، ويقولون يوم مهول، والصواب: يوم هائل، وأمر هائل، يقال هالني الشئ يهولني هو لا فهو هائل (الزبيدي ،1981م ص143).ومن ذلك قيل لنبطي: لِمَ اشتريت هذه الأتان ؟ فقال: أركبها وتلد لي، بفتح اللام من تلَد. (الجاحظ، 1996م، ص161).

3. اللحن في الحركات الإعرابية: مثل قولنا شكرت لك ونصحت لك، ولا يقال شكرتك ونصحتك، وقد نصح لفلان وشكر له، وهذا كلام العرب يقولون: ذهبت إلى عنده، فيخطئون فيه، لأن "عند" لا يدخل عليه من أدوات الجر إلا "من" وحدها، ولايقع في تصاريف الكلام مجروراً إلا بها، ويقولون: جاءني القوم إلاك وإياه، فيوقعون الضمير المتصل بعد إلا كما يوقع بعد "غير" في مثل قولك جاءني القوم غيرك، ويقولون: كلا الرجلين خرجا وكلتا المرأتين حضرتا، والاختيار أن يوجد الخبر فيهما فيقال: كلا الرجلين خرج وكلا المرأتين حضرت، لأن كلا وكلتا اسمان مفردان وضعا لتأكيد الاثنين والاثنين ليسا في ذاتهما مثنيين، ولهذا وقع الاخبار عنهما كما يخبر عن المفرد.

4 . المستوى الدلالي: مما تضعه العامة في موضعه مثل قولهم: "خرجنا نتنزه" إذا خرجوا إلى البساتين، وإنما "التنزه" التباعد عن المياه والأرياف، ومنه قيل: (فلان يتنزه عن الأقذار) أي يتباعد منها. (ابن السكيت، 1989م، ص287) ويقولون فلان يستاهل الإكرام، وهو مستاهل للأنعام، ولم نسمع هاتان اللفظتان في كلام العرب، ولا صوبهما أحد من أعلام الأدب، ووجه الكلام أن يقال: فلان يستحق التكرمة، وهو أهل للمكرمة. ويقولون: لدغتهُ العقرب، والاختيار أن يقال لكل من يضرب بمؤخره كالزنبور والعقرب، لسع، ولما يقبض بأسنانه كالكلب والسباع: نهش، ولما يضرب بفيه كالحية: لدغ (الحريري، 1987م،578) ويقولون: لِحاف للغطاء الذي يكون على الأسرة خاصة، قال أبوبكر: واللحاف والملحفة والملحفُ: كل ما إلتحف به من ثوب أو رداء أو كساء، وحال قيام أو قعود أو اصطجاع. (الزبيدي 1981،م، ص189) وفي ظاهرة الأصوات العامية والتي أعني بها التمسك بالسمات اللهجية في اللفظ، فكثيرون لا يزالون يلفظون الثاء سيناً ومن أمثلة ما سجلته من ألفاظ وهي كثيرة جداً يسعون حسيساً، حيث بعضهم ينطق الذال زاياً مفخمة، مثل: وزهيرة الأسنين والمقصود ظهيرة الاثنين وأصحاب هذا اللفظ لا يميزون بين العسور على جُسة العثور على جثة، وكثير وكسير، وثناء وسناء، وذال وزال، وذكي وزكي، وهذه فئة وفئة ثانية تلفظ القاف غيناً فتخلط بين الاستقلال والاستغلال والقريب والغريب، وفئة ثالثة: تلفظ الجيم شيناً مجهورة (جيم مستمرة) مثال ما ورد في مسلسل ابي الطيب: قال: فلما نشوت إن نشا شئتك لا شئة، والمقصود هو: فما نجوت إن نجا، وجئتك لاجئة. غير أن لفظ الضاد ظاءً شائعة أكثر من غيرها.

وإذا كانت لغة الضاد لا تميز بين ضل وظل، وحضر وحظر، وضن وظن، وحض وحظ فهذا محزن حقاً، وقد بلغت هذه الظاهرة من الشيوع أن انتقلت إلى الكتابة فقد ورد في صحيفة أردنية دعوة إلى "تظافر الجهود" والمقصود تضافر الجهود، ومثل هذا الخطأ في الكتابة كثير جداً فيما يكتبه بعض الطلاب، فكلمة "ضرب" تكتب "ظرب" فقد لاحظت أن كثيراً من المتحدثين يحاولون

التخلي عن السمات اللفظية للهجاتهم، وكثير من أبناء اللهجات التي تخلو من الثاء والذال والظاء أخذوا ينطقون الثاء ثاءً والذال ذالاً والظاء ظاءً، بل إن منهم قد بالغ في التصحيح فوقع في الخطأ. (القلقشندي،1331هـ، ص102).

المبحث الثالث

دور اختلاف اللُغات في وقوع اللحن

إن اللُغة العربية كائن حي، ويعتري هذه اللغة ما يعتري الأحياء، من غنى وفقر ومن سعة وضيق ومن إنتشار أو إنحسار، ومن تجمع وتفرق، ومن عزة وذلة ومن حياة وموت. وتتأثر اللُغة بحضارة الأمة ونظمها وتقاليدها واتجاهاتها العقلية ودرجة ثقافتها وشؤنها الاجتماعية والاقتصادية، وما إلى ذلك.

فكل تطور و بحث في ناحية من هذه النواحي إلا وينعكس تأثيره في أداة التعبير، ولذلك تعد اللُغات أصدق سجل لتاريخ الشعوب، فكلما اتسعت حضارة أمة نهضت لُغتها، وسمت أساليبها، وتعددت فيها فنون القول، ودخلت فيها ألفاظ جديدة عن طريق الوضع، والاشتقاق والاقتباس أو الافتراض للتعبير عن المسميات والأفكار الجديدة، فتحيا هذه اللُغة وتتطور عبر الزمن وتصبح أكثر مناعة وصلابة ضد أي صراع لُغوي مع اللّغات الأخرى.

واللُغة العربية أصدق مثال على ما نقول، بحيث أصبحت بعد فترة وجيزة من نزول القرآن الكريم لُغة العلوم العقلية " كالطب والكيمياء والفلك والطبيعة " مثلما هي لُغة العلوم النقلية كالفقه والتفسير والكلام بل عُدت لغة العلم الأولى التي لا تضاهيها لغة في القرون الوسطى وخلفت آثاراً تشهد بعبقرية علماء العرب المسلمين على مر العصور والتاريخ. لا أحد منا ينكر أن اللُغات تتداخل وتتلاقح كما اتصلت إحداها بالأخرى بصورة مباشرة أو غير مباشرة، وأن أي لُغة من اللُغات في العالم كما تؤثر في غيرها، فإنها أيضاً تتأثر، وإنه من المتعذر أن تضل لُغة بمأمن من الاحتكاك كلُغة أخرى. (عبد التواب، 1987م، ص258) ويرى فندريس أن تطور اللُغة مستمر في معزل عن كل تأثير خارجي، ويعد أمراً مثالياً لا يكاد يحقق في أي لُغة، بل

على العكس من ذلك، فإن الأثر الذي يقع على لُغة ما من لُغات مجاورة لها، كثيراً ما يلعب دوراً مهماً في التطور اللغوي، وذلك لأن احتكاك اللُغات ضرورة تاريخية ، واحتكاكها يؤدي حتماً إلي تداخلها.وأهم ناحية يظهر فيها التداخل هي الناحية المتعلقة بالمفردات وتنشط حركة التبادل بين اللغات ويكثر اقتباسها بعضها من بعض، ولهذه الظاهرة اللُغوية عواملها التي يتتبعها الدارسون عبر مسيرة الصراع اللُغوي بين اللُغات من أجل البحث عن الأسباب التي تجعل لُغة ما أكثر انتشاراً من لغة أخرى ودرجة صمودها أمام غزو اللُغات الأخرى لها. ومن بين هذه العوامل ذكرعبد الصبور شاهين أن العامل الحضاري والثقافي للُغة هو الأهم في التأثير والتأثر بين اللغات والعامل الثاني هو كثرة الناطقين باللغة.(القباس، 1986م، ص226). ويمكن حصر تلك العوامل التي تؤدي إلى التأثير والتأثر بين اللُغات كالتالي:

1 . الغلبة في الصراع، والانتصار في الحرب، والمقهور مولع بتقليد الغالب وخاصة إذا كان للمنتصر حضارة وثقافة ورقي وليس للمنهزم شيء من ذلك. فقد كانت اللاتينية قديماً إحدى لغات الفرع الإيطالي من مجموعة (الهند وأوربية)، منحصرة في منطقة ضيقة من إيطاليا وأصبحت بعد انتصارها في الصراع لُغة رسمية لكل من إيطاليا والبرتغال وإسبانيا والجول (فرنسا) والألب وألبانيا. (توفيق محمد شاهين، 1980م، ص129).

2. وكذلك الهجرة القومية المكثفة أو الاستعمار الثقيل بقضه وقضيضه سبب رئيسي من أسباب التأثير والتأثر و انتشار اللغات.

3 . وتتأثر اللغات بالاحتكاك عن طريق المجاورة أوالتجارة، وكذلك أثناء الحروب فالإنجليزية والفرنسية والألمانية والبرتغالية، مثلاً: تتعارض المفردات وتأثرت كلها أيضاً ببعضها بسبب الحروب التي قامت في أوربا، والحروب الصليبية نقلت إلى اللُغات الأوربية كثيراً من الألفاظ العربية قد تعد بالآلاف، وذكر بعض العلماء أن الأسبانية أخذت من العربية أكثر من أربعمائة

لفظة في شؤون البحرية وحدها فضلاً عن أن المعاملات التجارية قد أثرت كثيراً، ونقلت أسماء الأشياء من المنتجات الفلاحية أو الصناعية التجارية المتبادلة وما يلزمها

4 . والملاحظ أيضاً أن العلاقات الثقافية والحضارية بين الشعوب لها أثر عميق في التبادل والتأثر والتأثير بين اللغات في العالم. ونجد أحياناً لغتين متعايشتين ولا تستطيع إحداهما التغلب على الأخرى ويرجع ذلك إلى عراقة كل منهما في الثقافة والحضارة أو لقلة الأفراد المهاجرين أو الفاتحين، فاللاتينية مثلاً لم تتغلب على الإغريقية لعراقة الأخيرة في الحضارة والتركية (لغة الإمبراطورية العثمانية) في إبان عظمتها وسطوتها، لم تستطع التغلب على أية لُغة في البلاد التي خضعت للإمبراطورية،إذ ليس للتركية حضارة سابقة، فضلاً عن أنهم لم يمتزجوا بأصحاب البلاد التي حكموها زماناً ليس بالقصير. (توفيق محمد شاهين ،1980م،ص131).ونتيجة للتعايش بين اللُغات يقع التأثير والتأثر بين اللُغات المتمثل في اقتراض الألفاظ فيتسع محل لغة وتتطور وتزداد حيويتها، وتلك سنة اللُغات حين التعايش والاحتكاك والتجاور، ونجد اللُغة العربية كغيرها من اللُغات في العالم عبر التاريخ تداخلت مع اللُغات الأخرى حين احتكت واتصلت بالأمم المجاورة بسبب الحروب والمعاملات التجارية والثقافية فأثرت وتأثرت حسب قانون التجاور والصراع ، وقد أظهر التاريخ قدرة اللُغة العربية على استيعاب الأفكار الجديدة التي جاءت بها الشريعة الإسلامية وبينت كفاءتها الواسعة في الترجمة من اللُغات الأعجمية في العصر العباسي الأول، ولم يشك واحد من المترجمين آنذاك، قصور الفصحى عن استيعاب الأفكار الفلسفية والعلمية التي كانت لمفكري الإغريق والرومان والسريان وغيرهم. ويرى بعض اللُغويين القدامى أن اللُغة العربية امتازت بحيوية نفادة متأججة بحيث لم تنازل لغة أيام الفتوحات الإسلامية إلا ظفرت بها، ظفرت في العراق باللُغتين البربرية واللاتينية، وفي الأندلس باللغة الأسبانية وأهل كل هذه البلدان شرقاً وغرباً زايلت لُغاتهم ألسنتهم وحلت مكانها العربية واتخذوها للتعبير عن مشاعرهم شعراً ونثراً وعن عقولهم وألبابهم فكراً وعلوماً وسياسة.(سعيد

أحمد بيومي،1997م،ص36)وقد أشار ابن خلدون إلى هذا التأثير في مقدمته ، وخصص فصلاً عنوانه لُغات أهل الأمصار قال فيه " اعلم أن لُغات أهل الأمصار إنما تكون بلسان الأمة أو الجيل الغالبين عليها، ولذلك كانت لُغات الأمصار الإسلامية ، كلها بالمشرق والمغرب لهذا العهد عربية وإن كان اللسان المضري فسدت وتغير أعرابه والسبب في ذلك ما وقع للدولة الإسلامية من الغلب على الأمم، والدين والملة صورة للوجود وللملك ، لأن الناس تبعُ للسلطان وعلى دينه فصار استعمال اللسان العربي من شعائر الإسلام وطاعة العرب وهجر الأمم لغاتهم وألسنتهم في جميع الأمصار والمماليك (ابن خلدون، 1377م، ص379). وهو يقصد بالجيل الغالبين و"الملة" حكم الملك أو العرب أو الدولة والدين إذ يرى فيهما المؤثرين الفاعلين في حياة الأمم والشعوب وفي ألسنتها ويشير أيضاً إلى تأثر اللسان العربي المضري وذلك بسبب اللحن على ألسنة الإسلامية أثناء وبعد الفتوحات الإسلامية وإدراك التغيرات الصوتية والتركيبية في كلام العرب الفصيح ويعبر عن ذلك بفساد اللسان المضري، وهي البداية لظهور العاميات الإقليمية في الأمصار الإسلامية، وقد عبر ابن خلدون عنها بـ "اللسان الحضري " وقال: " ثم فسد اللسان العربي بمخالطتها في بعض أحكامه وتغير أواخر وإن كان بقي في الدلالات على أصله، وسمي لساناً حضرياً في جميع أمصار الإسلام. (ابن خلدون، 1377م، ص380).أيضاً هنالك أسباب نفسية اجتماعية أدت إلى تأثر ألسنة الأعاجم في الأمصار باللُغة العربية وهجرهم لألسنتهم الأصلية، وهو حبهم الشديد للدين الإسلامي وإقبالهم عليه طوعاً وليس قهراً، فأحبوا العرب والعربية من خلاله.

وشهد التاريخ الإسلامي أن حسن معاملة الحكام المسلمين لهؤلاء الأقوام من الأعاجم أثناء وبعد الفتوحات الإسلامية جعلهم يدخلون الدين الإسلامي أفواجاً. ويضاف إلى ذلك دور الدعاة المسلمين المهم في جلبه وتحبيب الأعاجم في الإسلام وفي اللُغة العربية، لم يكن هؤلاء الدعاة وحدهم السبب في إقبال البربر على الإسلام، فقد كانت القدوة الحسنة والمعاملة الطيبة

التي عامل بها الحكام الصالحون رعيتهم من الأسباب المهمة في تحبيب الناس في ذلك الدين الوافد وجعلهم يشعرون بالسيادة والطمأنينة والرضا في ظله. ومن أبرز هؤلاء الولاة نجد حسان بن نعمان الذي منح البربر الذين يؤدون الفتح حق المساواة الكاملة مع العرب في الأعطيات والحقوق، وأدخل قسماً منهم في الجيش الإسلامي، كما أنه لم يسلب البربر أرضهم ولا ميزاتهم المادية (أحمد مختارعمر، 1996م، ص246 . ص247) وللألفاظ العربية طبيعة الصوت المتغلغل في الأثير، فمن لغة الأسبان والتُرك والروم إلى سائر اللُغات الأوربية وبعد حيز من الزمن تعود إلينا هذه الألفاظ العربية كالطيور المهاجرة إلى مواطنها، ولكن بعد أن تغير من ألوانها، وأطواقها وأجراسها وأصواتها، وكأنما يقودها إلينا دافع الحنين إلى الوطن في البلاد العربية، فلظاهرة الاقتراض بين اللُغات هو أمر أجمع عليه علماء اللُغات، ولم يحتج منهم أي دليل للبرهنة على وقوعه في العصور القديمة أو الحديثة واستعمال لفظ " الاقتراض " في هذه الظاهرة ليس إلا من قبيل التجوز، أو المجاورة لاصطلاح اللُغويين المحدثين، فليس اقتراض الألفاظ اقتراضاً بمعناه الدقيق بل ينتفع بها كل من اللُغتين المستعيرة مطالبة برد ما اقترضته من ألفاظ اللُغات الأخرى فما سمي " اقتراض الألفاظ " ليس في الحقيقة إلا نوعاً من التقليد، مثله كمثل تقليد الطفل للُغة أبويه أو الكبار حوله غير أنه تقليد جزئ يقتصر على عناصر خاصة في حين أن تقليد الطفل للُغة أهله تقليد كُلي يتناول كل مايسمع من ألفاظ. (إبراهيم إنيس ،1967م ، ص98).

المبحث الرابع

دور السماع في تفشي اللحن

السماع أو النقل أصل من أصول النحو واللُغة ، ودليل من أدلتها ، عرفه ابن الأنباري بأنه : " الكلام العربي الفصيح ، المنقول بالنقل الصحيح ، الخارج عن حد القلة إلى حد الكثرة " (ابن الأنباري ، 1957م ، ص81).

وقد كان مبدأ جمع المادة اللُغوية " السماع " الذي انتهى إلى أصل واضح من أصول النظر اللُغوي عند العرب، يعرفه السيوطي فيقول: " هو ما ثبت في كلام من يوثق بفصاحته، فشمل كلام الله تعالى وهو القرآن الكريم، وكلام نبيه صلى الله عليه وسلم وكلام العرب قبل بعثه وفي زمانه وبعده إلى زمن فسدت الألسنة بكثرة المولدين نظماً أو نثراً عن مسلم أو كافر " (السيوطي، 1998م، ص24). أما الكتابة فقد كانت شيئاً جديداً ذلك لأن العرب كانوا قوماً أميين لم تنتشر الكتابة بينهم إلا بدعوة الإسلام، ففي أعقاب غزوة بدر كان من طرق مفادات أسرى المشركين أن يعلم الأسير عشرة من المسلمين الكتابة فكان زيد بن ثابت كاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد هؤلاء الذين علمهم الأسرى تعلمها في جماعة من الأنصار الذين لم يكن فيهم من يحسن الكتابة كما ذكر المقريزي (المقريزي، 1941م، ص101). لهذا تشير الروايات الكثيرة التي وردت عن هؤلاء العلماء الرواة اهتمامهم بشدة الحفظ من جهة واهتمامهم بكثرة الكتابة من جهة مقابلة، قال أبوالعباس ثعلب: دخل أبوعمرو (الشيباني إسحاق بن مرار) البادية ومعه دستيجان حبراً فما خرج حتى أفناها بكتب سماعه عن العرب (القِفطي،1950م، ص258). وقد خرج الكسائي إلى البادية ورجع وقد أنفذ خمس عشرة قنينة حبراً في الكتابة عن العرب سوى ما حفظه.(القِفطي ،1950م ، ص259) ويقابل هذه الصورة للرواة صورة أخرى تؤكد المشافهة والحفظ، ومن ذلك قال أبو العباس ثعلب شاهدت مجلس بن الأعرابي وكان

يحضره زهاء مائة إنسان وكان يسأل أبو يقرأ عليه فيجيب من غير كتاب، ولزمته بضع عشرة سنة ما رأيت بيده كتاباً قط، ولقد أملى على الناس ما يحمل على أجمال (ابن خلكان، 1948م، ص433) وقال بن مناذر " كان الأصمعي يجيب في ثلث اللُغة وكان أبو مالك يجيب فيها كلها، (أبوالطيب اللُغوي، 2002م، ص55) وقد تعددت مصادر العلماء في جمع اللُغة، فكان أولها القرآن الكريم الذي تكون ألفاظه مادة كبيرة من مواد اللُغة اجتهد العلماء في تحديد معانيها فكانت حافزاً لهم على الرحلة والرواية لتبيين مدلولها كما كانت ألفاظه سبباً في أن يجمعوا حول كل لفظة ما يتصل بها وبتبيين اشتقاقها وما تفرع من مادتها، وكان من مصادرهم ما ورد من الشعر الذي يحتج به جاهلياً وإسلامياً فقد أتى فيه الكثير من الغريب الذي أخذوا يبحثون عن معانيه، إضافة إلى اعتمادهم سماع الأعراب في البادية، ثم اعتماد العلماء المتأخرين على الأخذ عمن قبلهم. وقد جرى جمع ألفاظ اللغة العربية على ثلاثة مراحل متداخلة متعاصرة، لا متعاقبة تحدها الفواصل الزمنية الثابتة.

المرحلة الأولى: هي مرحلة تدوين ألفاظ اللُغة وتفسيرها دون ترتيب وكان السماع من الأعراب والاتصال المباشر بهم في صحرائهم أو حين قدومهم إلى الأمصار، أحد المصادر الأساسية التي اعتمدها الرواة في جمعهم للغة.

المرحلة الثانية: جمع الكلمات المتعلقة بموضوع واحد في موضع واحد، وكل هذه الرسائل

الصغيرة ذابت في المعاجم الجامعة التي أُلفت فيما بعد، وقد وصلنا الكثير من هذه الرسائل التي تمثل هذه المرحلة فلأبي زيد الأنصاري كتاب "المطر" وكتاب " اللبا واللبن " وللأصمعي كتاب "الإبل" و "الخيل والشاء" و "النخل والكرم" و "النبات والشجر"..الخ.

المرحلة الثالثة: وهي مرحلة وضع معجم يشمل كل الكلمات العربية على نمط خاص ليرجع إليه من أراد البحث عن معنى كلمة ما. (أمجد الطرابلسي، 1986م، ص11 . ص12)، وقد سلك

العرب في جمع لُغتهم مسلك اللغويين الاجتماعيين للكشف عن الحقائق اللُغوية في إطار المجتمع وما يتضمنه من ثقافات و أنماط سلوك وفقاً للبيئة الخاصة أو الموقع الاجتماعي، وذلك المسلك هو ما يعرف الآن بالبحث الميداني، وجمع الكلام بهذه الصفة فيه صدق الواقع، هذا بالإضافة إلى ما يتضمنه هذا الكلام من خواص صوتية وما يصحبه من إشارات أو حركات جسمية تيسر عملية التواصل بين المرسل والمستقبل، وهذا التلقي المباشر أو المشافهة هي ما تنعت في اصطلاحهم بـ "السماع" والسماع كان أحد مبدأين أساسيين في جمع اللُغة بقصد النظر فيها ودرسها وتحليلها لاستخلاص قواعدها وضوابطها، و المبدأ الثاني لذات الهدف هو "الرواية"والمقصود بالسماع هوالأخذ المباشر من أصحاب اللُغة بالاستماع إليهم وهم ينطقون كلامهم نطقاً فعلياً واقعياً في مواقعهم الاجتماعية والبيئة المختلفة، أما الرواية فلا تعني التلقي أو المشافهة المباشرة، وإنما تعني التلقي (أوالمشافهة) بواسطة بين المرسل مصدر المادة اللُغوية والمستقبل الناظر في هذه المادة ودارسها.(كمال بشير، 1997م، ص85 . ص86).

الفصل الثاني

أسباب وقوع اللحن في العربية الفصحى

المبحث الأول : نقط الإعراب والأعاجم من أسباب اللحن في القراءة والكتابة .

المبحث الثاني : سوء الاستماع وسوء التلقي من أسباب اللحن في الكلام .

المبحث الثالث : دخول الأعاجم في الإسلام واستخدامهم اللُغة العربية من أسباب اللحن

المبحث الرابع : أسباب وقوع اللحن في العربية الفصحى .

المبحث الأول

نقط الإعراب والأعاجم من أسباب اللحن في القراءة والكتابة:

عندما جاء الإسلام وانتشر بين العرب والأعاجم بانت بشكل أوسع طلائع الاختلال في اللُغة، وظهر اللحن في كلام الموالي والمتعربين والأعاجم الذين اعتنقوا الإسلام ، وعايشوا العرب وهم يرتضخون لُكناً شتى، وحينما اندفع الفاتحون العرب قبل المشرق والمغرب لنشر الدين الإسلامي بين مختلف الشعوب والبلدان اختلط العرب بهذه الأجناس خدمة لدينهم، واتخاذ هذه الأجناس العربية لُغة لها لتحقيق وجودها في المجتمع الإسلامي الجديد، فظهر اللحن على الأفواه يهدد اللُغة العربية وسلامتها، فانتبه له رجال الدولة وشمر العلماء عن ساعد الجد، يبغون الصلاح ويهدفون إلى الإصلاح ، ويرومون السلامة وقد جعلوا القرآن الكريم نصب أعينهم غايتهم صيانته، وحفظه خشية أن يصيبه تحريف أو تصحيف. (أحمد محمد قاسم، 1976م، ص48)، لقد استنكرت الأمة هذا الخطر الذي يهدد لسانها وأثار هذا الخطر انتباه الخلفاء والأمراء والعلماء في الأدب واللغة، فيروى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: " لأن أقرأ فأخطئ أحبُ إلي من أن أقرأ فألحن لأني إذا أخطأت رجعت، وإذا لحنت افتريت" (محمد جاد المولى، 1967م، ص37). وقد جاء في (البيان والتبيين) كتب الحصين بن أبي الحسن إلى عمر كتاباً فلحن في حرف منه، فكتب إليه عمر: " أن قنع كاتبك سوطاً " (الشهابي، 1967م، ص117). وقد روي من حديث علي رضي الله عنه . مع الأعرابي الذي أقرأه المقرئ " إن الله برئُ من المشركين ورسوله " حتى قال الأعرابي برئت من رسول الله فأنكر ذلك علي رضي الله عنه، وظلت هذه الظاهرة متفشية على ألسنة العرب والأعاجم على الرغم من التصدي لها ومحاربتها، وامتد أثرها وبان شأنها في خلافة الأُمويين، ولكن موقف العلماء والخلفاء منه ظل موقف استكراه ورفض، فتصدوا له بكل السبل، وقد تمثل هذا الاستنكار في

قول الخليفة العادل عمر بن عبدالعزيز إذ يقول: " إن الرجل ليكلمني في حاجة يستوجبها فيلحن فأرده عنها وكأني أقضم حب الرمان الحامض لبغضي استماع اللحن، ويكلمني آخر في الحاجة لا يستوجبها فيعرب فأجيبه إليها، التزاذاً وكأني لم أسمع من كلامه " (العسكري، 1981م، ص75).ويندرج هذا القول عن كتب اللحن في إطار المبادئ التي ينبغي أن تضبط لإنجاز معجم العربية التاريخي من حيث المادة ومصادرها ومعايير قبولها أو رفضها.

ومنطلقنا هو اعتبار كتب اللحن مصدراً من مصادر مدونة معجم العربية التاريخي، وذلك لكثرتها مع ما يعكسه هذه الكثرة من وجود مادة غزيرة يرى الصفويون إقصائها، وهو إقصاء يثير كثيراً من التحفظ إذ يطرح لدينا السؤال التالي:أليس هذا الكم الهائل من المفردات مما يصلح أن يكون مادة مفيدة لمعجم تاريخي موضوعه تقصي مظاهر تطور المفردة الدلالي عبر مراحل اللُغة المختلفة ؟.

وأن اختلاف وجهة النظر اللسانية التي ترى في بعض مظاهر الاستعمال الجديدة لتلك المادة انعكاساً لتطور دلالي في مفردات اللغة، يمثل مفارقة تطرح السؤالين التاليين:

1 . ماهي معايير مقبولية المفردات التي تتضمنها كتب اللحن باعتبارها مفردات لا تنتمي إلى مستوى الفصيح ؟.

2 . متى يجوز أن تكون تلك المفردات مداخلة معجمية في معجم تاريخي يتتبع تطور دلالة الوحدة المعجمية في مراحل اللغة المختلفة ؟

إن محاولتنا الإجابة عن هذين السؤالين وغيرهما مما تسمح به حدود هذا العمل تقتضي تقديم وجهة نظر لسانية تبحث بموضوعية في الأسس التي بني عليها أصحاب التصحيح مواقفهم وصولاً إلى تبين المبادئ السليمة . المعرفية منها اللسانية التي تمكن قبول نسبة مما تضمنته

كتب اللحن لتكون جزءاً من مادة معجم العربية التاريخي.ونبدأ قبل ذلك إلى منزلة كتب التصويب بين غيرها من المصادر. ، أهمية خاصة في البحث المعجمي عامة لأنها تتنزل في إطار قضية محددة هي قضية اللُغة والتطور فكثرة الاستحداثات اللُغوية أدت إلى بروز مستويات لغوية كانت محل جدال مازال مستمراً، وقد صنفها بعضهم اليوم إلى أربعة أصناف هي: العربي والفصيح والعربي المولد والعربي العامي والأعجمي. (ابن جني، 1955م، ص79).مادة كتب اللحن بين المقبولية وعدم المقبولية، تشير في هذا السياق إلى عدم إجماع الدراسات التقليدية على قبول الألفاظ المولدة. وعدم الإجماع هذا يمثل عائقاً في الأخذ بتلك المواد إدراجها في معجم تاريخي يكون محل اتفاق لدي الجميع. فالمواقف من هذه المواد متضاربة، بل متناقضة أحياناً، فالظواهر التي تعد من وجهة نظر تطورية توليداً يمكن أن تتسع لكثير من مظاهره قوانيين اللُغة وقواعدها، هي من وجهة نظر محافظة انحراف عن القواعد المرجعية بتدرج ضمن مقولة اللحن والخطأ، لأن اللُغة حسب وجهة النظر هذه قادرة بنفس أوضاعها القديمة على مسايرة حاجات أهلها المتجددة كما يذهب إلى ذلك البازجي. (ابن دريد، 1987م، ص27).

المبحث الثاني

سوء الاستماع من أسباب اللحن في الكلام

من أسباب اللحن في الكلام عوامل عدة منها: اختلاط العرب بغيرهم من الأمم والشعوب الأعجمية، فالإنسان إلف مألوف بطبعه يؤثر ويتأثر مهما احترز وتحفظ ، وهذا ما حدث يوماً للفراء (ت 207هـ) الذي لحن بين يدي هارون الرشيد فرد عليه هارون الرشيد فقال: يا أمير المؤمنين إن طباع الحضر اللحن، فإذا تحفظتُ ولم ألحن وإذا رجعت إلى الطبع لحنتُ (ابن العماد الحنبلي، 1979م، ص19) كان هذا في حق الفراء الذي قيل عنه "لولا الفراء لما كانت عربية، وكان في النحو نسيج وحده ، وفي اللُغة بحراً " (ابن العماد الحنبلي ، 1979م ،ص20). وكذلك من الأسباب كثرة الموالي والجواري وأمهات الأولاد في الأسر العربية والإسلامية عموماً وفي هذا السياق يقول الجاحظ (ت 255): كانت في عبيد الله بن زياد لكنة لأنه كان نشأ بالأساورة . عجم . مع أمه مرجانه، وهي أم ولد لزياد فبسبب هذه الجارية أصبح اللحن في بيت زياد بن أبيه قائد من قادة المسلمين مشهور بالفصاحة والبيان وهو صاحب الخطبة البتراء، الذي يضرب به المثل في طلاقة اللسان وهو لايقل شأناً عن الفراء في حفظ اللغة وصيانة الرأي العام، ومع ذلك دب اللحن إلى بيته عن طريق جاريته وأم ولده الأعجمية. وكذلك من الأسباب التعصب العرقي والنزعة الشعوبية والصراعات الحزبية، مع توسع الرقعة الإسلامية وكثرة الأعاجم في المجتمع العربي بدأت تضمحل المكانة الرفيعة للعرب والعربية بسبب الصراعات الحزبية والمصالح الشخصية والنزعة الجهوية. فليس غريباً عندما نجد أبا عبيدة معمربن المثنى كان إذا أنشد بيتاً لا يقيم وزنه وإذا تحدث أو قرأ لحن اعتماداً منه لذلك ويقول النحو محدود (احسان عباس،1972م، ص238). ومن الأسباب أيضاً تساهل الأمراء

والوجهاء في التحدث باللحن بل ربما التمس له وجهة صواب وبحث له عن تبرير فهو يصر على لحنه ويأبى أن يعود إلى الصواب استحياء أو أنفة واستكباراً أن يقال: لحن ويطلب من النحاة أن يلتمسوا للحنه وجهاً صحيحاً. (عبد الفتاح سليم، 1992م، ص24). إذاً أصبح اللحن رواج وذيوع وحماية من كبار القوم، حتى وصلوا بالنحو إلى حال لا يعجز فيها المخطئ عن قول يبرر به وهمه وحجة يؤيد بها زعمه. (أحمد حسن الزيات، 2000م، ص267).

المبحث الثالث

دخول الأعاجم في الإسلام واستخدامهم اللغة العربية من أسباب اللحن

لقد شاع اللحن على ألسنة الناس فأخذت السليقة تضعف شيئاً فشيئاً، وذلك لتوافد جموع غفيرمن الروم والفرس والأعاجم إلى مكة والجزيرة العربية قاصدين اعتناق الدين الجديد فصار بين هذه الأقوام لحمة و تواصل وحسن معاملة، ولا سيما أن هذه الجزيرة العربية لم تعد تمثل العرب وحدهم، بل اتسعت وترامت أطرافها، ولاسيما فتوحات الدولة الإسلامية الأموية إذ بلغت الفتوحات في عهدها شرقاً الهند والصين وشمالاً سيبيريا وغرباً ما وراء جبال البرانس بالأندلس وجنوباً السودان، كما امتدت إلى جزائر البحر المتوسط. (الطنطاوي، 1967م، ص14)، هذا هو ما جعل اللحن أول ما ظهر على لسانهم ويقول أبو الطيب اللغوي مؤكداً أهمية الأعراب " واعلم أن أول ما اختل من كلام العرب فأحوج إلى تعلم الإعراب لأن اللحن ظهر في كلام الموالي والمتعربين من عهد النبي صلى الله عليه وسلم. وبقيت اللغة العربية حافظة نفسها في الجاهلية حتى في صدر الإسلام إذ يقول أبوالطيب اللغوي " ولم تزل العرب تنطق على سجيتها في صدر إسلامها وماضي جاهليتها حتى أظهر الله عز وجل الإسلام على سائر الأديان فدخل فيه الألسنة المتفرقة ، واللُغات المختلفة، فنشأ الفساد في اللغة العربية، واستبان منها في الإعراب الذي هو حليها والموضح لمعانيها. (أبوبكر محمد بن الحسن، 1954م، ص1).واستطاع الفساد أن يتسلل إلى ألسنة فصحاء العرب من خلفاء وأمراء وقادة، ثم استوجب وضع حد فاصل لهذا الانسياج اللُغوي " فتفطن لذلك من نافر بطباعه سوء إفهام الناطقين من دخلاء الأمم بغير المتعارف من كلام العرب فعظم الإشفاق من فشو ذلك وغلته، حتى دعاهم الحذر من ذهاب لُغتهم وفساد كلامهم إلى أن سببوا الأسباب في تقييدها لمن ضاءت عليه وتثقيفها لمن زاغت عنه. (أبوبكر محمد بن الحسن، 1954، ص2).

المبحث الرابع

أسباب وقوع اللحن في اللغة العربية الفصحى

نشأت دراسة اللغة العربية الفصحى علاجاً لظاهرة اللحن الذي كان يُخشى منه على اللغة العربية وعلى القرآن الكريم، وهي ظاهرة شيوع اللحن الذي تفشى بعد دخول الأعاجم في الإسلام. والأخطاء اللغوية التي شاعت على ألسنة الموالي وانتقلت عدواها لألسنة بعض العرب لم تكن مقصورة على الخطأ الإعرابي، بل شملت الأخطاء الصوتية والصرفية والخطأ المعجمي الذي يبدو في اختيار كلمة أجنبية دون كلمة عربية لها المعني نفسه، وهي جميعها خطأ في المبنى ولو أدت في النهاية إلى خطأ في المعنى. (تمام حسان 2006م، ص12).

فاللغة العربية ظاهرة صوتية يعبر بها كل قوم عن أغراضهم،(ابن جني ،1955م ص79) وهي تكتسب بالتلقين والمحاكاة من العصر والمصر الذي يعيش فيه الأنسان، حتي تصبح ملكة راسخة لدي الشخص يتواصل بها مع بني جنسه ومحيطه، وذاك شأن المجتمع العربي الذي عاش متواصلاً بلسان عربي مبين، خالص من الشوائب اللحنية واللكنة الأعجمية منزو على نفسه في بيئته الخاصة، حتى شرع الله الإسلام ، ودخل الناس في دين الله ، و اختلطت العربية بغيرها من اللغات الأعجمية دب اللحن إلى الوسط العربي، وصار يفشو وينتشر شيئاً فشيئاً إلي أن شاع وذاع، ودخل بيوت العلماء والأمراء.، ومما هو جدير بالذكر أن العربي جماله في لسانه، به يناظر ويفاخر، ولأجل ذلك كانت تعقد المجالس والمحافل في الأسواق يتبارى فيها الشعراء والخطباء الشعر والنثر الفصيح، ويستهجنون اللحن ويستبشعونه من أي كان حتى نقل

عن ذم اللحن، أن رجلاً لحن بحضرته (صلى الله عليه وسلم) فقال:" أرشدوا أخاكم" وفي رواية، " أرشدوا أخاكم فقد ضل" (يوسف بن محمد بن عنترة،وآخرون، 2005م، ص35). والخطأ المعجمي الذي يبدو في اختيار كلمة أجنبية دون كلمة عربية لها المعنى نفسه، وهي جميعها خطأ في المبنى ولو أدت في النهاية إلى خطأ في المعنى (تمام حسان، 2006م، ص12) ذاك شأن العرب مع الفصاحة والبيان واستهجان اللحن واللحانين في صدر الإسلام، الذي شرف بمعجزة القرآن وفصاحته، واستمر الحال نفسه في الخلافة الرشيدة، وكذلك الدولة الأموية التي وصفت بالقومية العربية لكن بعد اتساع الرقعة الإسلامية تغير الحال، وبقي اللحن مستقبحاً عموماً لدى ولاة الأمر من الخلفاء والعلماء لأنهم مسؤولون عن سلامة الدولة وصيانة لسان قومها، ومع حلول العصر العباسي حصل الانفتاح الحضاري الإسلامي على الشعوب الأعجمية، ودخل الناس في دين الله أفواجاً، ووصل اللسان الأعجمي إلى دواليب الحكم ومجالس العلم عن طريق الموالي والبرامكة ونحوهم، فشاع اللحن حتى صار عادة معتادة بين العامة والخاصة، حيث قال أحد المحدثين، ما إن يُحُل القرنُ الرابع الهجري . حتى نجد اللحن في اللغة أمراً مألوفاً يوشك أن يكون غير معيب في أوساط المثقفين. (عبد الفتاح سليم، 1989م، 76). فالإنسان إلف مألوف بطبعه يؤثر ويتأثر مهما احترز وتحفظ، وهذا ما حدث يوماً للفراء (ت207هـ) الذي لحن بين يدي هارون الرشيد فرد عليه هارون فقال: " يا أمير المؤمنين إن طباع الحضر اللحن، فإذا تحفظتُ لم ألحن ، وإذا رجعت إلى الطبع لحنتُ، كان هذا في حق الفراء الذي قيل عنه: لولا الفراء لما كانت عربية ، وكان في النحو نسيج وحده وفي اللغة بحراً. (ابن العماد الحنبلي، 1979م، ص19) و كثرة الموالي والجواري وأمهات الأولاد في الأسرة العربية والإسلامية عموماً سبب في اللحن ، وفي هذا السياق يقول الجاحظ (ت 255هـ)، كانت في عبيد الله ابن زياد . لكنة ، لأنه كان نشأ بالأساورة . عجم مع أمه مرجانة. (الجاحظ، 1996م، ص210)، وهي أم ولد لزياد، فبسبب هذه الجارية أصبح اللحن في بيت

زياد بن أبيه قائد من قادة المسلمين ، وكان مشهوراً بالفصاحة والبيان، وهو صاحب الخطبة البتراء، الذي يضرب به المثل في طلاقة اللسان، وهو لا يقل شأناً عن الفراء في حفظ اللغة والرأي العام، ومع ذلك دب اللحن إلى بيته عن طريق جاريته وأم ولده الأعجمية، وأيضاً من الأسباب: التعصب العرقي والنزعة الشعوبية والصراعات الحزبية، مع توسع الرقعة الإسلامية وكثرة الأعاجم في المجتمع العربي بدأت تضمحل المكانة الرفيعة للعرب والعربية بسبب الصراعات الحزبية والمصالح الشخصية والنزعة الجهوية، فليس غريباً عندما نجد أبا عبيدة معمر بن المثنى كان إذا أنشد بيتاً لا يقيم وزنه وإذا تحدث أو قرأ لحن اعتماداً من لذلك ويقول النحو محدود. (ابن خلكان، تحقيق. إحسان عباس، 1972م، ص238).فلا غرابة أن يتعمد اللحن لنزعته العرقية ووجهته الحزبية التي يميل إليها، والمهم أن هذه العصبية هي إحدى أسباب شيوع اللحن في الوسط العربي سواء كانت عفوية أو قصدية، وكذلك من الأسباب: تساهل الأمراء والوجهاء في التحدث باللحن، بل ربما التمس له وجهة صواب وبحث له عن تبرير فهو يصر على لحنه ويأبى أن يعود إلي الصواب، استحياء أو آنفة واستكباراً أن يقال: لحن ويطلب من النحاة أن يلتمسوا للحنه وجهاً صحيحاً. (عبد الفتاح سليم،1989م،ص24). إذاً أصبح للحن رواج وذيوع وحماية من كبار القوم، حتى وصلوا بالنحو إلى حال لا يعجز فيها المخطئ عن قول يبرر به وهمه، وحجة يؤيد بها زعمه، وضايق اللحن الفصاحة والإعراب وصار به يقرأ ويكتب وهو في كل ناد يخطب، ولكن كما يقال رُب ضارة نافعة، فقد كان للحن آثار إيجابية أيقظت الهمم، وحركت العزائم، ودفعت العلماء إلى خدمة اللُغة العربية خدمة جليلة. (أحمد حسن الزيات، 2000م، ص267)، وقد تميز لسان العرب بالإعراب لا يشاركه في ذلك لسان، وظل العرب يتناقلون لُغتهم بالسليقة بلا تكلف أو معالجة، ولما نزل القرآن الكريم بهذا اللسان ارتبط بالدين ارتباطاً تاماً ، فبالعربية يدخل الإنسان في الدين، يؤدي بها جميع شعائره، فكان من دخل الإسلام يبادر إلى تعلم العربية حتى يفهم تعاليم الدين، وفي

الغالب هذا المتعرب الجديد لا يستطيع التخلص من آثار لُغته الأصلية، فيختلط عنده القديم بالجديد ومن هنا ظهر اللحن بسبب اختلاط العرب بغيرهم من الشعوب، وأول ما ظهر فيه اللحن هو الإعراب والإعراب كان من الأمور التي تساعد على حرية بناء الجملة العربية، ولهذا كانت الجملة تقرأ بعدة أوجه فلما فُقد الإعراب كان ينبغي أن يلزم بناء الجملة شكلاً واحداً، والجملة إن خلت من الإعراب احتملت معاني عدة، فإن أعربت نصت على معنى واحد. (رمضان عبد التواب، 2000م،ص256)، واللحن ظاهرة اجتماعية سلكت طريقها للألسنة بسبب عوامل عدة هي:

1. اختلاط العرب بغيرهم من الأجناس: أسهم اختلاط العرب بالأعاجم في تأثر العربية بعجمة هؤلاء الأعاجم، فبدأ اللحن يفسد لسان العرب في عقردارهم.

2. اشتغال غير العرب من العجم والموالي بالعلم: اشتغل العرب الفاتحون بالسياسة، وإدارة الدولة عن العلم وطلبه، فتولى ذلك العجم والموالي.

3 . إهمال النقط والشكل في اللغة العربية، كانت سليقة العرب وسلامة لغتهم تغنياتهم عن نقط الحروف وشكلها، وحين دخلت الأمم الجديدة، وبدأ الفساد يدب في اللغة خافوا عليها من الاندثار فوضعوا النقط والشكل.

4 . أصل وضع اللغة، طبيعة الحرف العربي توقع في التصحيف الذي هو أحد أنواع اللحن، وذلك لأن مجموعة من الحروف لها صورة واحدة مثل " الباء . التاء . الثاء . النون " فكان ينبغي وضع لكل حرف صورة مباينة للأخرى.

5. الاختلاف في وضع الحروف من جيل إلى جيل ومن شعب إلى شعب، كصعوبة نطق الحاء والعين عند غير العربي.

6 . إهمال أولياء الأمور تصحيح أخطاء الأطفال اللُغوية مبكراً.

7. اتخاذ المربيات من غير العرب وعدم مراقبة أولياء الأمور لبنيهم في طور التنشئة.

8 . هيمنة اللهجات العامية أصبحت تلعب دوراً أساسياً في مجتمعاتنا في العبث بالفصحى، حيث أصبحت اللغة الفصحى غريبة في مجالسنا اليوم. (محمد عبد الله بن التمين، 2012م، ص 44، ص50).إن ظهور وباء اللحن اقترن بدواء مقاومته، وكلما كان يزيد انتشاراً وعمومية ويقرب شبحه من ألسنة الصفوة والخواص من العرب أنفسهم عظمت مقاومته، ويعد اللحن الباعث الأول على تدوين اللُغة وجمعها، وعلى استنباط قواعد النحو وتصنيفها، فقد أقلق اتساع اللحن أولى الأمر والنظر . فحذروا منه واستهجنوه . وسعوا إلى مقاومته للحفاظ على الصورة المثلى للُغة العربية التي ما استساغوا لها أن تتعرض للتحريف. (أحمد محمد قدور، 1991م، ص72).

فقد عاشت العربية في مهدها من الجزيرة العربية ما عاشت من الزمن حتى كانت الخرجة الكبيرة والهجرة البعيدة المدى التي دعا إليها الإسلام فخرجت اللُغة مع ألاف أهلها الذين خرجوا إلى المشرق القديم وأقصى المغرب، وجعلت هذه العربية تتفاعل مع ما خالطت من لغات، فلا تعطي فقط بل كانت تأخذ، كذلك سنة الحياة في اللُغات والحضارات الغالبة والمغلوبة، وكان يساندها في ذلك الصراع حيناً من الدهر سلطان دولة قوية وإمبراطورية واسعة موحدة، فلما انجلت عقدة اتحادها وتوزعتها دولات مختلفة ظل يساندها الإسلام بقوته المعنوية دهراً طويلاً في كل مكان حتى اليوم، لأنها لُغة كتابه، ولسان ثقافته، والسبيل الوحيد لمعرفته، وغالبت العربية هنا وهناك، وهنالك وفي هذا الغلاب الطويل والصراع المرير، انتهى بها الأمر حينا إلى ظفر واستقرار هنا وهناك وحينا انتهى أمرها إلى هزيمة وتقهقر هنا وهناك، وهذا التذويب في المزج الذي صادفه أهلها في الواسع الفسيح من أقطار الأرض وبين الملايين من الدماء

المختلفة حري بأن يخفف من كثافة مادتها وقوة تماسكها ويخلخل نسيجها من اللحظة الأولى التي بدأ فيها فيدخل عليها الضعف والوهن في صوغها وتركيبها وبيانها إذ تفعل بها الألسن ما تفعل دائماً باللغة ولا مفر من وقوعه، فبدأ منذ أول الدهر بدئ الدولة الإسلامية المهاجرة تغير عاجل واضح، ولم يغفل أهلها منذ أول الأمر عن هذا الأثر بل هالهم أمره فهبوا يحاولون أن يحفظوا على العربية تماسكها ويوقعوها التخلخل والتحلل ليظل لها من القوام ما تهدي به إلى مراد الدين وقوام القرآن الكريم. (أمين الخوالي، 1965م،ص14، ص16).إن المكانة التي تحظى بها اللُغة العربية في نفوس المسلمين جميعا من عرب وغير عرب أكبر بكثير من المكانة التي يحاول دعاة القومية أن يعطوها للُغة، فهم في الظاهر يجعلونها عنصراً بارزاً من عناصر تكوين الأمة بالمعنى القومي ولكنهم في الواقع لا يهتمون بدراستها وفهمها كما يهتم المسلم، لأن ارتباط المسلم بها ارتباط ديني، فهو حرص على فهمها والتعمق في أسرارها، ليفهم أسرار كتاب الله تعالى، فالإسلام وإن كان يجعل الدين هو المقوم الأول والأخير للأمة، فإنه قد ربط بين الدين واللُغة العربية بعروة وثقى ومن ثم كان علماؤنا يقولون إن تعلم اللُغة العربية من الدين، لأن فهم الدين متوقف عليها لهذا يرى صاحب كتاب " كيف يحتفظ المسلمون بالذاتية الإسلامية " الأستاذ أنور الجندي خطورة الدعوة إلى العامية أو المحلية وذلك لأن الهدف الذي تجري وراءه قوى كثيرة هو القضاء على اللُغة الفصحى، وإحلال اللُغة العامية محلها، وذلك حتى ينفصل البيان العربي والأسلوب العصري عن بيان القرآن، فتحدث فجوة من شأنها أن تتسع عاما بعد عام حتى يقرأ القرآن الكريم بواسطة قاموس. (كارم السيد غنيم،1955م، ص41). والحق إنه لم تُحظ أية لُغة في الدنيا منذ أن خلق الله الإنسان بما حظيت به اللُغة العربية من العناية من قبل أصحابها وخاصة الغويين منهم وأهل الأداء، ومن أعظم ما تركوه لنا الوصف المستفيض للأداء القرآني من جهة وللغات العرب أي: الكيفيات المتنوعة في التأدية الصوتية والصرفية والنحوية لعناصر اللُغة، وإن كان هذا الجانب من أوصافهم مهم بالنسبة لنا

والأجيال القادمة فإنه لم يحفظ إلى الأن بالعناية الكبيرة من قبل اللُغويين المحدثين اللهم إلا الندر من المحاولات، وهو الجانب الذي ينبغي أن يعتني به أكثر من غيره، فلئن تفطن العلماء والكثير من المثقفين إلى وجود القسط الكبير من المفردات في العاميات الحالية وهي فصيحة أو قريبة جداً من الفصيحة، فإن هذا لن يفيد الأمة العربية شيئاً مادام الأداء، أي كيفية النطق والتعبير عامة ـ لا يخضع لنواميس العفوية اللُغوية التي تتصف بها كل اللُغات التي ينطق بها يومياً في الحاجات العادية وفي حالة الإنس، وكل من يلجأ إلى استعمال الفصحى كما تعلمها في المدرسة في غير ظروف التعليم والتلقين فسيتعرض بذلك للاستهزاء والسخرية، وقد رسخ في أذهان المعلمين أن اللُغة العربية ليس لها إلا كيفية واحدة في التعبير بها حيث أصبح هم المعلم هو الإعراب والنطق الصحيح ببنية الكلمة، فأهمل المستوى العفوي وهو ما أجازته العرب من تسهيل للهمزة وإدغام للكثير من الحروف وإخفاء الحفاء الحركات واختلاسها، وتسكين بعض المتحركات وحذف ما يستغني في حال الخطابات المرئية، وتجاهل الناس هذا المستوى المستخف من التعبير العفوي لشدة غيرتهم على الصحة اللغوية أدى بهم ذلك إلى اللحن. (عبد الرحمن الحاج صالح، 1997م، ص35 ـ ص36) .

الفصل الثالث

فشو اللحن وكثرته وأسباب انتشاره وجهود النحاة واللُغويين في حصره ومعالجته

المبحث الأول : فشو اللحن وكثرته في العصر الأموي والعصر العباسي

المبحث الثاني : جمع الألفاظ الملحونة وتصويبها

المبحث الثالث : وضع قواعد النحو والصرف

المبحث الرابع : أسباب انتشار اللحن ومظاهره

المبحث الأول

فشو اللحن وكثرته في العصر الأُموي والعصر العباسي

أولاً.. اللحن في العصر الأُموي: انتشر اللحن بصورة أكبر، وازدادت خطورته نظراً لتزايد اختلاط العرب بالأعاجم نتيجة الحرب والخدمة والمعايشة، وللتصدي لهذه الظاهرة وقف البُلغاء من العُلماء والخُلفاء والأُمراء صفاً واحداً، وكان في طليعتهم الخليفة عبد الملك بن مروان، والحجاج بن يوسف الثقفي والحسن البصري، ومما جاء عن عبد الملك ابن مروان قد قيل له ذات يوم " أسرع إلى رأسك الشيب " قال: " شيبني ارتقاء المنابر ومخافة اللحن ".

فالبُلغاء من الخُلفاء والأمراء كان مشهوداً لهم بكراهية اللحن وتجنبه، إذ يسجل الأصمعي قائلاً: " أربعة لم يلحنوا في جد ولا هزل وهم ، الشعبي وعبد الملك بن مروان والحجاج بن يوسف الثقفي وابن القِرية، والحجاج أفصحهم " (عبد العال سالم مكرم، 1978م،ص58). ومما جاء على لسان ابن قتيبة أن الحجاج أم قوماً فقرأ " والعاديات ضبحا" وقرأ في آخرها "إن ربهم بهم يومئذ لخبيرُ". (القرآن الكريم، سورة العاديات،الأية1"والآية"11).بفتح إن،ثم تنبه على اللام في "لخبير" وأن "إن" قبلها لاتكون إلامكسورة، فحزف اللام من "لخبيرُ"، وقرأها "إن ربهم بهم يومئذ لخبير".(ابن قتيبة،1925م، ص16). أما الحسن البصري، فقد كان من الموالي،غيرأنه قد اشتهر بمحاكاته للبُلغاء والفُصحاء حتى صار واحداً منهم في امتلاكه لناصية اللغة، مماجعل علماء اللغة يرفعونه إلى منزلة الحجاج في مجال الفصاحة والبلاغة.(عبد العال سالم مكرم، 1978م ص68). ويقال أن الحجاج والحسن البصري في بعض الروايات إنهما قد لحنا لحناً خفيفاً.(عبدالعال سالم مكرم ،1978م،ص58).والشيء نفسه نجده عند عبد العزيز بن مروان الأميرالأموي المعروف، وهو أخو عبد الملك بن مروان، إذ يروي لنا ابن عساكر"أنه دخل على عبد العزيز رجل يشكو صهره، فقال: إن ختني فعل بي كذا وكذا، فقال له عبد العزيز: من

خَتَنَك ؟ فقال الخِتان الذي يختن الناسُ، فقال: عبد العزيز لكاتبه: ويحك بم أجابني ؟ فقال له: " يا أيها الأمير ،إنك لحنت وهولا يعرف اللحن، كان ينبغي أن تقول له: "من خَتَنُك ؟ " فأقام في البيت جمعة لا يظهر للناس ومعه من يعلمه العربية وصلى بالناس الجمعة، وهو من أفصح الناس. (البغداي، تحقيق. محمد عبد السلام محمد هارون، 1987م، ص583).

ثانياً: اللحن في العصر العباسي. وقد أصبح اللحن قضية تشغل بال كل غيور على اللُغة العربية . الفُصحى، ففي عهد هارون الرشيد (143هـ_170هـ)، كنموذج ففي هذه المرحلة قامت نهضة فكرية وأدبية قل نظيرها كما اقترنت هذه الفترة بأسماء عُلماء كبار كالأصمعي والفراء والكسائي وأبي عبيدة وفي هذا العهد كانت لُغة الدواوين مثلاً يحتذى ومن ذلك هارون الرشيد قال يوماً لبنيهِ: "ماضر أحدَكم لوتعلم من العربية مايُصلح به لسانه. أيسُرَ أحدكم أن يكون كلامه أو لسانه كلسان عبده أو أمته. (القلقشندي،1331هـ، ص168).وفي عهد هارون الرشيد تأثرت اللُغة العربية بحضارة المدن، وقد بدأ ذلك في اختلاف اللُغة الأدبية في أوائل العصر العباسي كما ظهر ذلك في شعر بشار بن بُرد وأبي العتاهية وابن الأحنف، إذ نجد اختلافاً كبيراً من حيث صوغ القوالب وتركيب الجمل والمادة اللُغوية وطرق التعبير، عن لُغة شعر البادية ولكن رغم ذلك فإن عربية الدولة قد احتفظت بالتصرف الإعرابي وبقواعد النحو والصرف احتفاظاً تاماً بنائهامن حيث الحقيقي، وفي مقابل ذلك كانت اللُغة الدارجية المتداولة بين الطبقات الوسطى والدنيا من سكان المدن، منذ نشوئِها في عصر الفتوحات الإسلامية الأولي، تعتبر عربية مولدة في نظر التاريخ اللُغوي.(ضياء الدين بن الأثير، 1960م، ص107).

وقد أحدثت هذه العربية المولدة كثيراً من التغيرات الصوتية مثل تغير الصاد بالسين "الصراط . السراط" (محمد عيد،1980م،ص27). ومن المعروف إلي أن اختلاط العرب بغيرهم كان السبب الأساسي في حدوث اللحن، فإن هنالك أسباباً أُخرى قد زادت من تأجيج فتيل هذه المعضلة، ومن ذلك إقدام كثير من الرواة على وضع الشعر و اختلافه مثلما حدث مع بشار بن

بُرد حيث أُنِشد شعر الأعشى، وهو قوله وأنكرتني وما كان الذي نَكِرتُ من الحوادث إلا الشيب والصلعة فأنكره بشار، وقال: هذا بيت مصنوع، ما يشبه شعر الأعشى، ثم ظهر صدق حدسِه بعد عشرة سنين حين قال يونس حدثني أبو عمرو بن العلاء أنه صنع هذا البيت وأدخله في شعر الأعشى. (عبد الفتاح سليم، 2006 م، ص18). وفي عهد عبد الله المأمون "198هـ_22هـ" فيه ازدهرت علوم العربية أيما ازدهار فلقب هذا العصر بالعصر الذهبي للأدب العربي. (يوهان فك، ترجمة، رمضان عبد التواب،1980 م، ص11).

وفي المقابل تفاقم خطر اللحن في هذا العصر تحديداً مع بداية النصف الثاني من القرن الثاني الهجري حيث أصبحت الأخطاء اللُغوية أمراً عادياً مألوفاً ومما ساعد على ذلك وقوعها من ذوى الشأن كالخُلفاء والوزراء والأُدباء والعُلماء وقد كان اللحن من هذه الطبقة متعارفاً مشهوراً وتجاوز أمر التخاطُب اليومي إلى إنشاد الأشعار، بل إلى قراءة القرآن الكريم. ومن ذلك أن أمير البصرة محمد بن سليمان أخطأ يوماً فقرأ على المنبر " إن الله وملائكته يصلون على النبي " (القرآن الكريم، سورة الأحزاب، الآية 22). برفع الملائكة . فاستحى أن يرفع. فأرسل إلى النحويين فقال:"احتالوا" فقالوا: عطفت "وملائكته " على موضع "الله". وموضعه رفع. فأجازهم، ولم تزل قراءته حتى مات وكره أن يرجع عنها فيقال: "إن الأمير لحن". (عبد الفتاح سليم ، 2006 م، ص25).ومن الولاة الذين اشتهر عليهم اللحن خالدُ بن عبد الله القسري، كان يقول: " إن كنتم رجبيون فإن رمضانيون ". وقد هجاه بذلك يحي بن نوفل و الحجاج بن يوسف الثقفي. وكان يقرأ "إنا من المجرمين منتقمون" (القرآن الكريم، سورة السجدة، الأية 22) برفع المجرمين وكان مع لحنه معدوداً من الفصحاء.(عبد الفتاح سليم، 2006 ، ص26).

المبحث الثاني

جمع الألفاظ الملحونة وتصويبها

كان العرب قديماً يعيشون حياة ملؤها الفصاحة والبعد عن اللحن، وهو أمر طبعي، لأنهم لم يكونوا قريبين من العجم ولم يعيشوا معهم وقتاً يسمح بتسرب اللحن إلى كلامهم، لذا لم تكن لهم حاجة إلى جمع اللُغة لأن رسوخها فيهم جعلهم لا يتصورون أن لُغتهم ستتعرض إلى ما تعرضت له فيما بعد من خطر اللحن ولكنات الأعاجم، وفي ذلك يقول عبد الجبار علوان:" لم يكن بالعرب في جاهليتهم وصدر الإسلام حاجة إلى الشواهد أو الاستشهاد في اللُغة، إذا كانوا يتكلمون اللغة العربية على الوجه الصحيح بالسليقة التي جبلوا عليها. (علوان عبد الجبار، 1976م، ص18) وقد نهج مصنفوالكتب نهجين من حيث ضوابط الخطأ والصواب، فريق متشدد وقف عند النص المسموع المطرد يجعله ضابطاً للصواب وما خالفه فهو لحن وخطأ وأن سمع من عربي يحتج بعربيته فهو شاذ أوقليل يحفظ ولا يقاس عليه ومن أهل هذا النهج: الأصمعي والسجستاني وثعلب والزبيدي والحريري والجواليقي وابن الجوزي وغيرهم، فمثلاً: يقول السجستاني كان الأصمعي يقول أفصح اللُغات ويلغي ما سواها فهو يقول: حزنني الأمرُيحزنني ولا يقول أحزنني (يحزنني).وفريق ميسر متساهل يقبل ما سُمِع ولو قل أو ندر، ومن أهل هذا النهج: منهم أبا زيد الأنصارى وابن مكي الصقلي وابن السيد البطليوسي وابن هشام اللخمي، يقول أبوحاتم السجستاني أبو زيد يجعل الشاذ والفصيح واحداً، فيجيز كل شئ قيل (أحمد مختار،2017م،ص56)

وقد عزا عون حسن سبب عدم وجود اهتمام بحفظ اللغة في ذلك الوقت إلى طبيعة الحياة الاجتماعية عندهم، يقول واقع حياة العرب وطبيعة أنظمتهم الاجتماعية قبل الإسلام لم يتركا لهم فرصة التفكير في هذا، إذ إنهم لم يكونوا يتوقعون شراً على لُغتهم ولا خطراً على

مستقبلها، إما لأنهم يكتفون بضمان سلامتها على ألسنتهم هم، وإما لأنهم لم يكونوا يقيمون وزناً لهؤلاء الأجانب، ولا لما يصدر عن ألسنتهم من لكنات. ولكن على الرغم من تلك الثقة الكبيرة كان لابد من دور عملي يحفظ اللُغة، لأن المجتمع العربي لم يكن في ذلك الوقت خالياً بإطلاق من الوجود الأعجمي، لأن العرب . وهم أهل أصحاب أنفة وكبرياء . كانوا لايرضون أي عمل إلا إن كان شريفاً ذا قيمة في المجتمع كأعمال التجارة والمناصب العليا في القبيلة أما الأعمال الأخرى كالزراعة والخدمة في البيوت، فقد كانوا يستأجرون لها العجم لذا كانت الدراسات اللُغوية والأنشطة التي تحفظ اللُغة في أدنى مستوياتها. (عون حسن، 1970م، ص12 . ص27). وعندما جاء الإسلام وكثر دخول غير العرب في الدين الجديد، وبعد الفتوحات الإسلامية وما كان لها من اثر في العربية الفصحى من موت للشعراء والأعراب والأقحاح، فكر علماؤنا الغيارى على عربيتنا في أن يرحلوا إلى القبائل الفصيحة أياً كان موطنها، ليجمعوا اللُغة سائلين الأعراب، متناسين ما قد يعترضهم من صعوبات قد تؤدي بحياتهم، تاركين مالهم في مواطنهم في سبيل الحفاظ على اللغة من أن يختلط بها ما ليس منها. والمطلع على كتب التاريخ يجد كثيراً من الحديث عن جهود علمائنا في جمع اللغة والوسائل التي استخدموها في علمهم، فهذا أبوعمر بن العلاء (ت 154هـ) يترك أهله ردحاً من الزمن يجمع من اللغة كل ما يسمع متخذاً معيارالفصاحة أساساً لا يحيد عنه تحديد من يأخذ عنه اللغة، قال ابن نوفل (ت 84هـ): " سمعت أبي يقول لأبي عمرو بن العلاء: أخبرني عما وضعت مما سميته عربية، أيدخل فيه كلام العرب كله، قال: لا، قال فكيف تصنع فيما خالفتك فيه العرب وهم حجة، قال: " أعملُ على الأكثر وأسمي ما خالفني لغات.(الزبيدي، 1981م، ص39).ويروي أن الكسائي (ت 189هـ) لم يكتف بما أخذه من علماء الكوفة، فرحل إلى الخليل (ت 170هـ) ليأخذ عنه طلباً في الاستزادة، فقال له: " من أين أخذت علمك هذا؟ قال: من بوادي العرب سوى ما حفظ. (الذهبي،1987م، ص30).

ولكن لا يفهم من ذلك أنهم لم يكونوا يأخذون اللُغة إلا بعد تمحيص وتدقيق، فإن شكوا في لُغة الأعرابي واختبروه، فقد روي أن أبا عمرو بن العلاء اختبر أبا خيرة، فقال له: كيف تقولُ (استأصل الله عِرقاتهم) ففتح أبو خيرة التاء فقال له أبو عمرو: هيهات أبا خيرة لان جلدُك. وروي أن ابن جني، قال لأبي عبد الله الشجري يوماً: " كيف تجمع دُكاناً، فقال دكاكين، قلت فسرحاناً قال: سراحين، قلت: فقرطا ناً، قال: قراطين، قلت: فعثمان، قال: عثمانون، فقلت له: هلا قلت: أيضاً، عثامين، قال: أيش عثامين؟ أرايت إنساناً يتكلم بما ليس من لغته، والله لا أقولها أبداً. (ابن جني، 2006م، ص316، ص204) وعلى الرغم مما بذله علماؤنا الأجلاء في استقصاء اللُغة، فإن أمر الإحاطة بكل ما قاله العرب يبقى مجالاً وقد أدرك العلماء هذه الحقيقة، وقال أبو عمرو بن العلاء: ما انتهى إليكم مما قالته العرب إلا أقله، ولو جاءكم وافراً لجاءكم شعر وعلم كثير.(الرازي،1994م، ص106) وقال الإمام الشافعي (ت 204هـ): " لسان العرب أوسع الألسنة مذهباً، وأكثرها ألفاظاً، ولا نعلم أنه يحيط بجميع علمِهِ إنسان غير نبي " (السيوطي، 2005م، ص69).

ومن المعايير الصوابية، مرحلة ماقبل التقعيد اللُغوي، وهي مرحلة معروفة ومهمة في تاريخ اللُغة العربية، تتمثل في ما روي لنا من شعر ونثر في العصر الجاهلي، وتمتاز هذه المرحلة بتقارب اللهجات العربية وتوحدها في لغة ثقافية قومية، وأغلب الظن أن هذه اللُغة المشترك بين القبائل كانت لغة الحج والأسواق والمجامع الأخرى وكانت هذه اللُغة أقرب من كل لهجة إلى أي لهجة أخرى فالفصحى لكونها لُغة العرب جميعاً ثم نموها في المجتمع العربي في عمومه لا في قبيلة بعينها، وتقلب في نموها عناصر جميع اللهجات حتى بدأت قريبة إلى كل لهجة. (تمام حسان، 2000م، ص67). كانت هذه الوحدة إرهاصاً بنزول القرآن الكريم، بهذه اللغة الموحدة، لكن هذا التوحيد كما قلنا لا يلغي اللهجات الأخرى، فالقرآن نفسه حوى ظواهر لهجية مختلفة مثالها لهجات قبائل هذيل وتميم وطي والأوس والخزرج، وكان العرب يراعون هذه

اللهجات كلها حسب المقام، إذ تجدهم يلتزمون بقواعد اللُغة المشترك في المقام الذي يفرض ذلك، ويعودون إلى استعمال لهجة قبيلة ما في مقام آخر يفرض هو الأخر العودة إلى هذه اللهجة مراعين في كلا المقامين المستوى الصوابي الذي أرتضته جماعتهم اللُغوية، فكان بذلك مفهوم الخطأ عندهم هو الخروج عن تقاليد اللُغة المشتركة أو اللهجة القبلية دون أن يطلقوا أحكام لهجة على اللغة المشتركة أو العكس، كما يطلقوا أحكام لهجة على أخرى وذلك أن العرب كانوا كثيراً ومنتشرين وخلقاً عظيماً في أرض الله غير متحجرين ولا متضاغطين، فإنهم بتجاورهم وتلاقيهم وتزاورهم يجرون مجرى الجماعة في دار واحدة فبعضهم يلاحظ صاحبه ويراعي أمر لغته. (ابن جني، 1987م، ص17 . ص18). وفي مرحلة التقعيد اللغوي بإنتشار الإسلام خارج الجزيرة العربية ودخول الأعاجم في الإسلام واحتكاك العرب بهم، تفشى اللحن بين العامة والخاصة، فدعت الضرورة إلى الحفاظ على متن القرآن الكريم من اللحن والتحريف والتصحيف وكان ذلك السبب المباشر في ظهور النحو العربي ولأن الغاية التي نشأ النحو من أجلها عصمة الألسنة من اللحن أي من الخطأ، أتصف الأخير بالمعيارية لا الوصفية إذ بعدما استخرجت القواعد من المدونة العربية بطريقة وصفية فرضت هذه القواعد في مرحلة لاحقة على من أراد استعمال العربية، وعلى الرغم من تحديد علماء العربية لمصادر اللُغة العربية الفصحى في القرآن الكريم، والشعر العربي حتي عام 150 هـ، وكلام العرب الأفصاح من ساكني المدر حتى أواخر القرن الرابع الهجري، لم يتفقوا على توسيع القياس أو تضييق نطاقه، كما لم يتفقوا على رفض أو قبول ما خالف اللُغة المشهورة والوارد في أحدى اللهجات العربية ولهذا كان خلافهم في تحديد معيار الصواب اللُغوي، وقد طرحت هذه الأختلفات بحدة بين مدرستي البصرة والكوفة.، فالسليقة اللُغوية تعني الفطرة في الكلام، وتقابلها الصنعة التي لا تتحكم في الأخطأ اللاشعورية، وقد اشترط في صحة المدونة تحديد الزمان والمكان فقد حدد زمن الفصاحة بالفترة من 150هـ سنة قبل الإسلام إلى موت بن هرمة(ت 149هـ) في الحضر وإلى موت بن جني

(392هـ) في المدر كما تحرى جامعوا اللُغة اعتماد القبائل الفصيحة دون سواها وتتمثل هذه القبائل في تميم وقيس وأسد وطي وهذيل وكنانة. فلم يعتمد سكان البراري ممن كانوا يسكنون أطراف البلاد أي بجوار الأمم الأخرى فلم يؤخذ لا من لخم ولا من قضاعة ولاغسان وعياد لمجاورتهم أهل الشام.

وكذلك اهتموا بثقة الرواة واتصال الإسناد، اشترط في صحة اللُغة ثقة رواتها فأعتمد البصريون ضوابط سلوكية في الرواية لها علاقة وثيقة بمنهج المحدثين وقد ظهر جلياً ضبط نصوص اللُغة عن طريق الاسناد الموثق في كتب القرن الثالث الهجري كالأغاني وفي رواية دواوين الشعراء الأسبقين والمتصفح لطبقات علماء اللُغة يجد أنها عنيت بدرجة كبيرة بتوثيق الرجال أو تجريحهم ومن أمثلتها " أخبار النحويين البصريين " لأبي سعيد السيرافي، ومراتب النحويين، لأبي الطيب اللُغوي، وطبقات النحويين واللُغويين لأبي الحسن الزبيدي، كما لخص السيوطي في القرن التاسع كتابه "بقية الروعاة " من جهود سابقيه محاولاً أن يضع الرواة كل في مكانه الصحيح ويقول عن هذا في المزهر في باب " معرفة ماروي من اللُغة ولم يصح ولم يثبت " وهذا النوع يقابل النوع الأول الذي هو الصحيح الثابت والسبب في عدم ثبوت هذا النوع عدم اتصال سنده لسقوط راوٍ أو جهالته أو عدم الوثوق بروايته لفقد شرط القبول فيه. (السيوطي،1976، ص103).أضيف لهذا وجود نفعي هو حركة جمع اللُغة وتدوينها في معاجم تخص هذا الرصيد اللغوي المكنون في اللسان العربي بجميع أطيافه وقبائله وقراه، فقام بذلك جمع من العلماء على رأسهم الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 175هـ) هذا العبقري الفذ الذي درس اللغة على مستوى الصوت والحرف والمقطع والعروض والكلمة والمعجم والتركيب والنحو فاخترع للُغة معجماً شاملاً سماه "العين" ووضع للنحو قواعد جعلت منه علماً قائماً (محمد المختار، 2001م، ص87). نشره تلامذته من بعده فصار عمله مصدراً للمعاجم اللُغوية والمدارس النحوية من بعده، وأصبح، في وسعهم، أن يحفظوا كيفية اللُغة من ذلك

التاريخ.(المرجع السابق نفسه ص82) فأقتدى به من بعده وجمعوا معاجم للُغة مثل ابن دريد (ت 321هـ) بكتابه "الجمهرة" وقصيدته "المقصورة" أحصى كماً هائلاً من المادة اللغوية والمفردات المعجمية وهو لا يقل شأناً عن الخليل كما يقول المسعودي: انتهى في اللُغة وقام مقام الخليل فيها، وأورد أشياء في اللُغة لم توجد في كتب المتقدمين، وكان يذهب في الشعر كل مذهب. (علي بن الحسين المسعودي، 1990م، ص391).واشتملت مقصورته على كثير من الحكم والأمثال والمعلومات التاريخية والمفردات اللُغوية في باب المقصور قال ابن هشام اللخمي: وقد حفلت مقصورة ابن دريد بثلث المقصور في اللُغة. (محمد بن أحمد بن هشام، 2007م، ص34). والعمل نفسه قام به أحمد بن فارس (ت 395هـ) بكتبه . مقاييس اللُغة، والصاحبي في فقه اللُغة وجمل اللُغة . هذا الأخير هو أول معجم رتب مفرداته ترتيباً ألفبائياً فوضع اللبنة الأولي في صرح عمل المعجمات بهذا الترتيب. (أحمد بن فارس،1986م،ص7).

المبحث الثالث

وضع قواعد النحو والصرف

كان لظهور اللحن في الوسط العربي آثار سلبية، شوهت السليقة العربية والذوق السليم فاستسيغ نطق ما لا يتوافق مع سنن الكلام العربي وقواعد لُغته، مما دفع العلماء إلى التفكير في كيفية صون لُغة القرآن الكريم من التحريف والتزييف، فانبعث جمع منهم إلى هذه المهمة فأصبحت آثاراً إيجابية خدمت اللُغة العربية أيما خدمة.

فأقام أبوالأسود الدؤلي (ت 69هـ) بنقط المصحف الشريف " نقط إعراب" بمداد يخالف مداد الكتابة في مواضع من الحرف الأخير في كل كلمة تختلف بأختلاف الفتحة والكسرة والضمة (السيوطي، 1987م، ص218). ليحفظ للغة القرآن إعرابها ويصون جمالها من ظاهرة اللحن التي صارت تنتشر وتسمع في كتاب الله وعلى ألسنة الناس.

و اتم عمل أبي الأسود الدؤلي فيما بعد تلميذه نصربن عاصم الليثي (ت 89هـ) بنقط المصحف الشريف، نقط المعجم لما احتاج الأعجمي إلى علامة يفرق بها بين الصوت والصوت الآخر المشابه له خطاً والمخالف له نطقاً مثل: ح، ج، خ، ونحو ذلك. ولكنها ربما التبست نقطة المعجم بنقطة الإعراب، مما جعل الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 175هـ) يغير نقطة الإعراب بشكل مأخوذة من الحروف، فالفتحُ شكله مستطيلة فوق الحرف والكسرة كذلك تحته، والضم واو صغرى فوقه، والتنوين زيادة مثلها.، وبه ضبط النطقُ السليم والقراءة الصحيحة لألفاظ العربية وتلاوة المصحف الشريف، واكتملت الصورة اللفظية بنطقها المعجمي في مفرداتها وشكلها الإعرابي في بنائها وتركيبها النحوي على يد الفراهيدي (ت 175هـ) ثم جاء دور تلميذه سيبويه (ت 180هـ) في موسوعته النحوية "الكتاب" والذي استطاع أن يجمع فيه القواعد ويرتبها

ويعقد أبواباً يجمع فيها أشقاءها من المسائل النحوية، فاعتبر بذلك الكتاب أول كتاب لتدوين النحو العربي وصل إلينا بهذه الصورة الكاملة (التواتي بن التواتي، 2008 م، ص62 . ص219). والتي ضبطها باستقراء كلام العرب واستخراج المنوال الذي يبنون عليه كلامهم ويزنون به لغتهم، ومن شاء يبني بعدهم على منوالهم فليفعل، وما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب (جلال الدين السيوطي، 2003م، ص93). وهي جهود كبيرة، وآثار إيجابية كانت الانطلاقة فيها بسبب ظاهرة اللحن، حتى قيل عن إمام النحاة سيبويه (ت 180هـ) أنه طلب النحو بسبب قصة لحن. (عبد الملك مرتاض، 2012م، ص502) حتى كان من شأنه ما كان ووضع للنحو ديواناً، وهي الأرضية التي بنيت عليها الحركة الفكرية، وأنشئت المدارس النحوية في البصرة والكوفة، وغيرهما. (محمد المختار، 2001م،ص87) ولذلك وضع النحو نسبة لفشو اللحن عقب الفتوحات الإسلامية، وامتداد آفاق اللُغة العربية إلى مجالات لم تتح لها من قبل، وفساد الألسنة حتى بالنسبة للعرب أنفسهم نتيجة اختلاطهم بالأجانب، فكان لا مفر من وضع علم النحو، وفي هذا يقول: ابن خلدون " اعلم أن اللُغة في المتعارف هي عبارة المتكلم عن مقصوده " وتلك العبارة فعل لساني فلابد أن تصير ملكة متقررة في العضو الفاعل لها، وهو اللسان وهو في كل أمة بحسب اصطلاحاتها وكانت الملكة الحاصلة للعرب من ذلك أحسن الملكات التي تعين الفاعل من المفعول والمجرور، فصار للحرف في لُغاتهم والحركات والهيئات . أي الأوضاع، اعتبار في الدلالة على المقصود، غير متكلفين فيه لصناعة يستفيدون منها، إنما هي ملكة في ألسنتهم يأخذها الأخر عن الأول، كما تأخذ صبياننا لهذا العهد لُغاتنا، فلما جاء الإسلام وفارقوا الحجاز لطلب الملك الذي كان بأيدي الأمم والدول، وخالطوا العجم تغيرت تلك الملكة بما ألقى إليها السمع من المخالفات التى للمتعربين، والسمع أبو الملكات اللسانية، ففسدت بما ألقى إليها مما يغايرها لجنوحها إليه باعتياد السمع، وخشي أهل العلم منهم أن تفسد تلك الملكة رأساً، ويطول العهد بها فينغلق القرآن الكريم والحديث على المفهوم،

فأستنبطوا من مجاري كلامهم قوانين لتلك الملكة مطردة شبه الكليات والقواعد يقيسون عليها سائر أنواع الكلام، ويلحقون الأشباه بالأشباه مثل أن الفاعل مرفوع والمفعول منصوب والمبتدا مرفوع ثم رأوا تغير الدلالة بتغير حركا ت هذه الكلمات فأصطلحوا على تسميته إعراباً، وتسمية الموجب لذلك التغيير عاملاً، وأمثال ذلك، وصارت كلها اصطلاحات خاصة بهم فقيدوها بالكتاب وجعلوها صناعة لهم مخص وصة واصطلحوا على تسميتها بعلم النحو. (ابن خلدون،1377م، ص546).

وقد نشأت الدراسات اللُغوية العربية بعامته نتيجة لاحتياجات عملية تتصل بقراءة القرآن الكريم وتفهم أحكامه ثم تعليم اللُغة العربية لمن دخل الإسلام من غير العرب ومن أجل القرآن قام النحو يصحح ويضبط ويقعد ويعلل ليفهم نص وتسلم لُغة ويستقيم لسان. (سعيد جاسم الزبيدي، 1995م، ص11) والنحو الذي كان في بدئه وليد التفكير في القرآن الكريم وشيوع اللحن على ألسنة الناس، قد نشأ في آخرعهد الخلفاء الراشدين ولم يكن يومئذ إلا خطرات جزئية وأبواباً معينة معدودة حتى جاء الخليل، فقامت للنحو مجموعة من الأصول العامة كل أصل منها يضم جملة من المسائل والجزئيات التي تشترك في الخصائص والصفات. (مهدي المخزومي، 1960م، ص251).وانتهى إلى ما انتهى إليه من مسائل وأبواب وأصول وبعد أن اكتملت القواعد في أيدي النحاة أصبحت في نظرهم معياراً للصواب والخطأ ومعنى ذلك أن الفصاحة لم تعد المعيار الوحيد للقبول في عُرف النحاة كما كانت قبل اكتمال النحو. (تمام حسان، 2006م، ص108) إذن لم يكن ظهور النحو اعتباطاً، فثمة أسباب طبيعية يقبلها العقل وتؤيدها أحداث التاريخ تشير إلى بروز مشكلة ما، جاء تقنين النحو حلاً لها، وقد انبنى هذا الحل في مرحلة الاستقراء على أخذ عينة متنوعة من لسان العرب وفق منهج مؤطر بمكان وزمان، وكان نتيجة تحليل المادة المستقراة الوصول إلى القانون أو القاعدة، ومن وظائف القاعدة أنها عيار في تمييز الصواب من الخطأ. (حسن خميس الملخ،1976م، ص32) ومن

المعروف أنه لكي يصاغ علم صياغة دقيقة لا بد له من اطراد قواعده وأن تقوم على الاستقراء الدقيق وأن يكفل لها التعليل وأن تصبح كل قاعدة أصلاً مضبوطاً تقاس عليه الجزئيات قياساً دقيقاً (شوقي ضيف، د.ت، المدارس النحوية، ص18). وفي هذا يقول الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح في رده على الذين زعموا أن علماء العربية وقفوا موقفاً غير علمي اتجاه اللُغة، فقال: " أما أن يقال بأنهم علماء اللُغة . وقفوا موقفاً غير علمي فلا، لأن العلم لا يحدد بالغاية التي يرمى إليها أصحاب انتفاعية كانت أم غير انتفاعية، بل بمقياسين أثنين هما: المشاهدة والاستقراء والأختبار من جهة والصياغة العقلية من جهة أخرى، فكلما كانت مناهج المشاهدة والاستقراء والصياغة أفادت معلومات جديدة وكشفت بذلك عن أسرار الظواهر و الأحداث كانت أحرى بأن توصف بأنها علمية. (عبد الرحمن الحاج صالح، 1991م، ص374)، يقول السيرافي: " اختلف الناس في أول من رسم النحو، فقال قائلون: أبو الأسود الدؤلي، وقال آخرون نصر بن عاصم الليثي، وقال آخرون عبد الرحمن بن هرموز، وأكثر الناس على أبي الأسود الدؤلي. (السيرافي، 1975م، ص15). وقد انفرد ابن الأنباري والقفطي بنسبة وضع النحو ابتداء إلى الإمام علي بن طالب كرم الله وجهه، حيث يقول: ابن الأنباري: " اعلم . أيدك الله تعالى . بالتوفيق، وأرشدك إلى سواء الطريق . أن أول من وضع علم العربية وأسس قواعده وحد حدوده أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وأخذ عنه أبو الأسود الدؤلي. (ابن الأنباري، د.ت، نزهة الألبا،ص14).ويقول القفطي: " الجمهور من أهل الرواية على أن أول من وضع النحو أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب . كرم الله وجهه، وأهل مصر قاطبة يرون . بعد النقل التصحيح . أن أول من وضع النحو علي بن أبي طالب . وأخذ عنه أبو الأسود.(جمال الدين القفطي،1987م، ص4 . ص5).وسئل أبوالأسود الدؤلي من أين لك هذا النحو؟ فقال: لقفت حدوده من علي بن أبي طالب (ابن الأنباري، 1957م، ص20).وقال أبو الطيب اللغوي " ثم كان أول من رسم للناس النحو أبو الأسود الدؤلي بأمر من الإمام علي بن أبي طالب كرم الله

وجهه، قالوا: وكان أبو الأسود أخذ ذلك عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، لأنه سمع لحناً فقال لأبي الأسود الدؤلي: أجعل للناس (أبوالطيب اللغوي، د.ت، ص20) وقال أبو عبيدة: أخذ النحو عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، وأبو الأسود الدؤلي كان لا يخرج شيئاً يكون للناس إماماً ويعرف به كتاب الله، فاستعفاه من ذلك حتى سمع أبو الأسود قارئاً يقرأ: " إن الله برئ من المشركين ورسوله " بالكسر فقال: ماظننت أن أمر الناس آل إلى هذا، فرجع إلى زياد فقال: أنا أفعل ما أمر به الأمير. (ابن النديم، د.ت،، ص87). والأغلب واضع النحو باشارة من الإمام علي، و الروايات متضافرة على أن واضع النحو هو أبو الأسود الدؤلي، سواء أكان هو الذي ابتكره من نفسه أم أن الإمام علي بن أبي طالب أرشده إلى الأساس الذي يبني عليه.

اتجه العلماء بعد ذلك إلي تنمية النحو وإكمال أبوابه وتفصيل مسائله، فنشط فريق منهم لذلك وكان ميدان النشاط والبحث هو بلاد العراق في مدينتي البصرة والكوفة، وقد اتجهت كل من المدينتين، وجهة خاصة في أساليب البحث النحوي وطرق الاستنباط، ونشأ عن هذا أن أصبح لكل منهما مذهب خاص، وتباعدت بينهما مسافة الخلاف في كثير من المسائل. (عبد العزيز عتيق، 1993م، ص43).وقد ظهرت مؤلفات في مسائل الخلاف بين النحويين، وكتب بن فارس كتابه "اختلاف النحويين " وألف ابن كيسان فيما اختلف فيه البصريين والكوفيين، ولكن أهم ما وصلنا من هذه الكتب كتاب " الإنصاف في مسائل الخلاف " لكمال الدين أبي البركات الأنباري، وكتاب " مسائل خلافية " لأبي البقاء العكبري، يضاف إلى ذلك ما كتب المتأخرون من شروح مثل شرح الكافية للرضي الاستراباذي، وشرح بن يعيش على المفصل للزمخشري ومؤلفات السيوطي في اللُغة والنحومثل: المزهر في علوم اللُغة والأشباه والنظائر وهمع الهوامع وكذا شروح الألفية وحواشيها.(شرف الدين علي الراجحي، 2002م، ص69). وينبغي أن يستقر في الأذهان أن المدرسة الكوفية لا تباين المدرسة البصرية في الأركان العامة للنحو، فقد بنت نحوها على ما أحكمته البصرة من تلك الأركان التي ظلت إلى اليوم راسخة في النحو العربي

غير أنها مع اعتمادها لتلك الأركان استطاعت أن تشق لنفسها مذهباً نحوياً جديداً له طوابعه وله أسسه ومبادؤه. (شوقي ضيف،1988م، ص158).لقد شيدت البصرة صرح النحو ورفعت أركانه بينما كانت الكوفة مشغولة عن ذلك كله على الأقل حتى منتصف القرن الثاني للهجرة بقراءة الذكر الحكيم ورواية الشعر والأخبار، وكان العلماء يعرفون ذلك معرفة دقيقة فنصوا عليه بعبارات مختلفة من ذلك قول ابن سلام: وكان لأهل البصرة في العربية قدمة وبالنحو ولُغات العرب والغريب عناية. (ابن سلام، 1987م، ص12).

المبحث الرابع

أسباب انتشاراللحن ومظاهره

إن اللُغة العربية كما نعلم أنها بطبيعتها لغة غير جامدة قابلة للتطور وللتعايش مع كافة اللُغات الأخري، مما ساعد على دخول اللحن إليها باكراً واستمراره طيلة الخلافة الراشدة وإزدياد خطره أكثر في العصر الأُموي على الرغم من محاولة الأمويين المحافظة على كل مايتصل بالعرب من أمور، وفي ظل هذه النظرة بدأ الاهتمام باللُغة العربية وتخليصها من شوائب اللحن ؛ إلا أن اختلاط العرب المتزايد بالأجانب حال دون ذلك، إذ لم يكن من الممكن إقامة حاجز بين العرب الفاتحين وغيرهم من الأمم المغلوبة، وازداد الأمر سواءاً في العصر العباسي بانفتاح العرب على الأمم المجاورة خاصة الفُرس، بل أن بعض العرب تعلم اللُغة الفارسية فظهرة لُغة هجين، لا هي عربية خالصة ولا أعجمية خالصة، وهذه اللُغة هي التي هددت العربية، لأنها استعانت بأبسط وسائل التعبير اللُغوي، فبسطت المحصول الصوتي، وصوغ القوالب اللُغوية، ونظام تركيب الجملة. وهذه الأمور هي التي أطلق عليها الفصحاء اسم "اللحن" الذي ينقسم إلى ثلاثة أنواع: لحن في مخارج الحروف، ولحن تركيب الجمل، ولحن في الإعراب. (حسين نصار، 1988 م، ص18،ص19). أما في عصرنا الحالي فقد عمت الفوضي في العربية وتعددت الأخطاء وكثرة الدخيل والمعرب من غير ضرورة وبلا شرط، ومن تلك الأخطاء مالا يقبله اللسان العربي الفصيح ولا السليقة العربية السليمة. والأخطاء الشائعة هي استخدام ألفاظ أو تراكيب معينة نطقاً أو كتابةً أو إعراباً في غير ماوضعت له، وهي غالباً ناتجة عن قصورفي فهم قواعد النحو مثال قولهم "إنهم قادمين، والصواب "قادمون"، أو الإملاء مثل كتابتهم "ثقاة" بالتاء المربوطة والصواب "ثقات" أو الصرف كتحريف بعض الأبنية الصرفية

كقولهم "الراسل" والصواب "المُرسل" أو الأخطاء في تركيب الجمل. ومن الأخطاء مايسمى بالابتذال وهو استخدام التعابير والكلمات العامية مكان الفصحى مثل استعمال كلمة "الشوربا"، بدلاً عن "الحساء" و "احتار" بدلاً عن "حار"، ومنها أيضاً التكرار في غير موضعه مثل قولهم "في اثناء خلال الحديث"، ومنها مايسمى بالأطناب الممقوت مثل قولهم " هذا جبلُ ضخمُ عظيمُ الهيكل" ومن الأخطاء أيضاً تبديل أصوات الهجاء، كنطق "الضاد" "ظاء" مثل "أتوظأ" بدلاً عن "أتوضأ".(عبد الفتاح فرح ضوء، 2009م، ص187،ص188).كان اللسان العربي في جزيرة العرب سالماً من المخالطة خالصاً لأهله، وهم في حَلهم وترحالهم يتناقلونه ملكةً، يأخذها الصغير عن الكبير، قال بن خلدون " فالمتكلم من العرب حين كانت ملكة اللُغة العربية موجودة فيهم، يسمع كلام أهل جيله وأساليبهم في مخاطبتهم، وكيفية تعبيرهم عن مقاصدهم، كما يسمع الصبي استعمال المفردات في معانيها، فيلقنها كذلك، ثم لايزال سماعهم يتجدد في كل لحظةٍ، ومن كل متكلم، واستعماله يتكرر، إلى أن يصير ملكة وصفية راسخةً، ويكون كأحدهم " (ابن خلدون، 1377م، ص301). فاللُغة العربية كغيرها من اللُغات عند بن خلدون وظيفة لسانية مكتسبة بالتلقين والمحاكاة حتي تستقر تدريجياً فتصبح ملكة. وكانت لُغة قريش من أفصح لُغات العرب وأسلمها من شوائب العُجمة، لبُعدهم عن بلاد العجم، ثم يليهم في الفصاحة من اكتنفهم من تثقيف، وهذيل وخزاعة وبني كنانة، وغطفان وبني أسد وبني تميم، وأما من بعُد عنهم من ربيعة ولخم وجذام وغسان، وإياد، وقضاعة، وعرب اليمن المجاورين لأمم الفرس والروم والحبشة، فلم تكن لُغتهم خالصةً من الشوائب تامة الملكة لمخالطتهم الأعاجم، وعلى قدر قربهم من قريش كان الاحتجاج بلُغاتهم. (ابن خلدون،المرجع السابق، ص303). فاللُغة العربية وعاءُ العلوم الشرعية، وجاء الأعتناء بها من هذه المكانة، وقد كان في البداية نُقلة الدين من الصحابة عرباً أقحاحاً لم تشُب لسانهم عُجمة ولا هجنةُ، ولقد أنزل الله تعالى القرآن الكريم بمعهود العرب في التخاطب، وأسلوبهم وبيانهم مع إعجاز وهو أعلى من

كلامهم، ففهموه وعقلوا معانيه، وفسر لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض ما احتاجوا إلى تفسيره منه، شرحاً وبياناً، وتقريراً، وتفسيراً و تخصيصاً وتقييداً، كما تحدث بمسائل وأحكام لم تأتِ في كتاب الله تعالى، ففهموا ذلك منه صلى الله عليه وسلم وعقلوه. حتي إذا اتسعت الدولة الإسلامية دخل الناس في دين الله أفواجاً، مصداقاً لوعدِ رباني نافذ، ولما دخل في الإسلام غير العرب، لغة وجنساً، وخفي عليهم بعض أساليب القرآن الكريم وأعاريبه، ومعاني بعض ألفاظه ومقاصدها، وقد بدأ الفساد يدب إلى لغة العرب، وظهر اللحن والتصحيف والتحريف في القرآن الكريم والحديث، وقد قيل: إن أول لحن سُمع بالبادية "هذه عصاتي" وإنما هي "عصاي" قال تعالى:(هي عَصَايَ أتوكؤُا عليها)، (القرآن الكريم، سورة طه، الأية 18). و أول لحن سمع بالعراق:" حيَ على الفلاح" وإنما هو:"حي على الفلاح" (الجاحظ،1996م، ص45).فاللحن ظاهرة إجتماعية تتداخل في صنعها أسباب عديدة أهمها:

1 . اختلاط العرب بغيرهم من الأمم والأحناس. قال ابن الجوزي رحمه الله: " إن الرسول صلى الله عليه وسلم كان عربياً،وكذلك جمهور أصحابه وتابعهم، فوقع في كلامهم ماكان مشهوراً بينهم، ثم وقعت مخالطة الأعاجم ففشى اللحن. (ابن قتيبة، تحقيق: عبد الله الجبوري، 1985م، ص17). وعندما تتابعت الفتوحات الإسلامية اتسعت رقعة دولة الإسلام، وامتد سلطانها ليشمل أمماً جديدة من روم، وفرس وغيرهما، ونزل العرب تلك البلاد المفتوحة واختلطوا بأهلها، وقد كانت ملكة اللسان العربي عندهم صافية ناصعة، فلما فارقوا الحجاز، وخالطوا العجم تغيرت تلك الملكة بما ألقي إليها السمع من المخالفات التي للمتعربين من العجم والسمع أبو الملكات اللسانية. ففسدت بما ألقي إليها مما يغايرها، لجنوحها إليه باعتياد السمع.(ابن خلدون، 1377م، ص36).وقد انتقل ابناء هذه البلاد المفتوحة المعتنقون للإسلام إلى المدينة حاضرة الدولة الإسلامية وكعبة المتعلمين، وإلى مكة قبلة الصلاة ومهبط الوحي، فحصل اختلاط في بلاد العرب أسهم في تأثر اللُغة العربية بعجمة هؤلاء الوافدين، فبدأ اللحن يُفسد لسان العرب في عُقر

دارهم، فيُحكى أن "عمر بن الخطاب رضي الله عنه مر على قوم يسيئون الرمي فقرعهم، فقالوا:نحن متعلمين ! فأعرض مغضباً وقال: والله لخطؤُكم في لسانكم أشد علي من خطئكم في رميكم" (ياقوت الحموي، 626هـ، ص71).

2. اشتغال غير العرب من العجم والموالي بالعلم، لقد اشتغل العرب الفاتحون بالسياسة وإدارة الدولة عن العلم وطلبه، وولي ذلك الموالي والعجم , يقول ابن خلدون: "من الغريب الواقع أن حملة العلم في الملة الإسلامية أكثرهم من العجم، إلا في القليل النادر، وإن كان منهم العربي في نسبته فهو عجمي في لُغته ومرباهُ ومشيخته مع أن الملة عربية، وصاحب شريعتها عربي، والسبب في ذلك أن الملة في أولها لم يكن فيها علم ولا صناعة لمقتضي أحوال السذاجة والبداوة وإنما أحكام الشريعة هي أوامر الله ونواهيه، كان الرجال ينقلونها في صدورهم، وقد عرفوا مأخذها من الكتاب والسنة بما تلقوه من صاحب الشرع وأصحابه، والقوم يومئذ عرب، لم يعرفوا أمر التعليم والتأليف والتدوين، ولا دُفعوا إليه، ولا دعتهم إليه حاجة، وجرى الأمر على ذلك زمن الصحابة والتابعين، فلما بُعد النقل من لدن دولة الرشيد فما بعُد، احتج إلى وضع التفاسير القرآنية، وتقييد الحديث مخافة ضياعه ثم احتج إلى معرفة الأسانيد وتعديل الناقلين للتمييزالصحيح من الأسانيد ومادونه، فصارت هذه العلوم كلها علوماً ذات ملكاتِ محتاجة إلى التعليم فاندرجت في جملة الصنائع، وقد قدمنا أن الصنائع من منتحل الحضر وأن العرب أبعدُ الناس عنها، والحضر لذلك العهدهم العجم أو من في معناهم من الموالي وأهل الحواضر الذين هم يومئذ تبعُ للعجم للحضارة الراسخة فيهم منذ دولة الفرس، فيرى ابن خلدون أن نقل العلوم الشرعية مرت بمرحلتين: أولهما: كانت على يد عرب حملوا في صدورهم القرآن الكريم والحديث، عارفين بمعناهما بقوة طبيعية، وبما تلقوه من الرسول صلى الله عليه وسلم دون تعاطي تعلم، ولا تعليم، أما المرحلة الثانية: فجاءت استجابة لمستجدات وظروف اتساع دولة الإسلام، وطرؤ مسلمين جدد، ليسوا من أهل لسان الشرع، فأوجب ذلك تدوين العلوم وتقنينها،

فأصبحت صناعة، أهل الحضر والعمران أعرفُ بها من أهل البدو، فغلب العجم والموالي عليها، أو من تربى وتعلم على يدهم من العرب، فالعربي نسباً عجمي في لُغته ومرباهُ ومشيخته، كما قال ابن خلدون، وفي قوله:"في لُغته ومرباهُ" إشارة إلى تأثير العجم في تربية جيل ذلك العصر، وغلبة لغتهم، لكثرة الجواري، وأمهات الأولاد.(ابن خلدون، 1377م، ص41). وهؤلاء العجم مهما فقهوا في اللسان ورسخوا في العلم، لم تكن ألسنة بعضهم تتخلص من منطقها الفطري، ولغتها الأم، لأن "الأعجمي المتعلم في الملة الإسلامية يأخذ العلم بغير لسانه الذي سبق إليه، ومن غير خطه الذي يعرف ملكته.(ابن خلدون مرجع سابق ص45) فهذا يحي بن زياد الفراء (ت207هـ)، أجل أصحاب الكسائي،(ت.172هـ)، دخل يوماً على الرشيد، فتكلم بكلام لحن فيه مرات، فقال جعفر بن يحي البرمكي: أنه لحن يا أمير المؤمنين ! فقال الرشيد: أتلحن ! فقال الفراء: يا أمير المؤمنين إن طباع أهل البدو الإعرابُ، وطباع أهل الحضر اللحنُ ؛ فإذا تحفظتُ لم ألحن، وإذا رجعت لحنت.(عبد الحي ابن أحمد ابن محمد العكبري الحنبلي، 1406هـ، ص26).

3. إهمال النقط والشكل في اللُغة العربية.، لقد كانت سليقة العرب وسلامة لُغتهم تغنيان عن نقط الحروف وشكلها، فلم يعرفوا النقط ولا الشكل، وحين دخلت الأمم الجديدة وبدأ الفساد يدب في اللُغة العربية، خافوا عليها من الاندثار فوضعوا النقط والتشكيل، يُروى أن زياد بن أبيه بعث إلى ابي الأسود الدؤلي رحمه الله تعالى (ت.69هـ)، يقول: "يا أبا الأسود إن هذه الحمراء . يقصد العجم . قد كثرت وأفسدت من ألسنة العرب فلو وضعت شيئاً يُصلح به الناس كلامهم، ويُعربون كتاب الله " فأجابه بعد ممانعة.(الداني، 1407هـ، ص30).

4 . أصل وضع اللُغة العربية: هذا سبب ذاتي في رأي حمزة بن الحسن الأصفهاني رحمه الله (ت.280هـ،360هـ) فوقوع التصحيف وهو من اللحن . فاللُغة العربية، "الذي أبدع في صور

حروفها لم يضعها على حكمة، ولا احتاط لمن يجني بعده، وذلك أنه وضع لخمسة أحرف صورة واحدة، وهي: الباء والتاء والثاء والياء والنون، وكان وجه الحكمة فيه أن يضع لكل حرف صورةً مباينةً للأخرى حتي يؤمن عليه التبديل. (حمزة بن الحسن الاصفهاني، 1992م، التنبيه على حدوث التصحيف، ص42). وهذه الملاحظة التي أوردها الأصفهاني وإن كانت صحيحة في ظاهرها، إلا أنها كلمة حق ربما أريد بها باطل، وربما تلقفها ذو هوى شعوبي، هدفه التنقيص من العرب ومن لُغتهم، ولا عجب إن قالها الأصفهاني فقد رُمي بالشعوبية ومحبة قومه الفُرس ولُغتهم، قال عنه القِفطي: "كان ينسب إلى الشعوبية، وأنه يتعصب على الأمة العربية. (القِفطي، 1986م،ص67).وايضاً له كتاب "الموازنة بين العربي والعجمي" تعصب فيه للفارسية على العربية.(المرجع السابق نفسه ص37). ويمكن أن نُرجع ظهور اللحن إلى عوامل أخرى تؤدي عادةً إلى تطور اللُغة عند كل الشعوب، منها: . الاختلاف في نطق الحروف من جيل إلى جيل ومن شعب إلى شعب، " صعوبة نطق الحاء والعين عند غير العرب، مثلاً"

5. إهمال أولياء الأمور تصحيح أخطاء الأطفال اللُغوية مبكراً مما يؤدي إلى نشوئهم على الخطأ فيصعب نقلهم عنه، . اتخاذ المربيات من العجم، وعدم مراقبة أولياء الأمور لبنيهم في أطوار التنشئة الأولي، وقد ظهرت بوادرُ تأثير ذلك في فجر الدولة الإسلامية حين كثرت الفتوح، فأتخذ الناس الخدم والجواري، وكن المربيات في البيوت، فأخذ الصغار من لُغتهم، واختلط المأخوذ مع الفطري، ففسدت الملكة، على حين غفلة من الآباء، وأكثر ماظهر فيه ذلك أولاد الأعيان، ومن ملوك و أمراء، فهذا معاوية رضي الله عنه يكتب إلى زياد يريد عبيد الله ابنه، فلما قدم عليه وكلمه وجده يلحن، فرده إلى أبيه وكتب إليه يلومه يقول له: "أمثل عبيد الله يضيع"! وقد كانت أم عبيدالله فارسية. (الداني، 1407هـ، ص87).

الفصل الرابع

نماذج من كتب لحن العامة وبيان كيفية معالجته

المبحث الأول : الكسائي وما تلحن فيه العامة .

المبحث الثاني : الحريري وبيان ما تلحن فيه الخاصة .

المبحث الثالث : الجواليقي في حصر المعرب والدخيل .

المبحث الرابع : عوامل التلاقي بين كتب النحو والتلاقي .

المبحث الاول

الكسائي وما تلحن فيه العامة

اسمه ولقبه : هو أبو الحسن علي بن حمزة بن عبد الله بن بهمن بن فيروز، الأسدي ولا. وتذكرالمصادر في سبب تسميته بالكسائي ، خمسة أقوال ، هي :

1 . أنه جاء إلى حمزة الزيات وهو ملتف بكساء ، فقال حمزة : من يقرأ؟ فقيل له : صاحب الكساء، فبقي عليه .

2 . أنه سئل عن سبب هذه التسمية ، فقال : لأني أحرمت في كساء .

3 . أنه كان يحضر مجلس معاذاً الهراء والناس عليهم الحلل ، وعليه كساء ورداء .

4 . أنه من قرية " باكسايا" .

5 . أنه كان يصنع الكساء .

ولو أن المصادر القديمة ، روت هذا الرأي الأخير لكان من الممكن تصديقه ، فإن الشائع أن يلقب المرء بلقب من جنس حرفته . ولكنه لم يرد إلا في مرجع متأخر جداً وبصيغة التعريض ، ولذلك لا يعول عليه .

أما القول الرابع ، فهو خطأ بالتأكيد ، فلو كان الكسائي من قرية "باكسايا" كما يقال لوجب أن يكون لقبه "الباكسائي " لا " الكسائي " ويقولوا نعرف قارئاً من قراء القرآن الكريم ، يلقب بالباكسائي ، من قرية "باكُسايا" من نواحي بغداد ، على أن من المصادر ، من يذكر أن

الكسائي من قرية "باحمشا" هذا إلى أن ابن الجزري . وهو الراوي الوحيد لهذا الخبر ، يذكر بعد أن رواه أنه "أضعف الأقوال" والظاهر أن الكسائي كان يرتدي في بادئ أمره زياً معيناً ، مخالفاً لزي أهل الكوفة ، وكان يحضر به مجلس معاذ الهراء ، ومجلس حمزة الزيات ، كما أنه حج وهو يرتديه ، بدلاً من أن يرتدي ملابس الإحرام ، فاشتهر بذلك وسمي لهذا بالكسائي .

وعلى ذلك لسنا نجد تعارضاً بين هذه الأقوال الثلاثة الباقية ، وإن كنا نرجح الرواية ، التي رويت عنه شخصياً من أنه سمي الكسائي لأنه أحرم في كساء على أن قصته مع حمزة الزيات ، تروي بأشكال مختلفة ، فقد رواها مثلاً الخطيب البغدادي بإسناده عن خلف بن هشام ، وقد سأله محمد بن يحيى المروزي ، لِمَ سمي الكسائي كسائياً ؟ فقال : "دخل الكسائي الكوفة ، فجاء إلى مسجد السبيع ، وكان حمزة بن حبيب الزيات ، يقرئ فيه فتقدم الكسائي مع أذان الفجر فجلس وهو ملتف بكساء من البركان الأسود ، فلما صلى حمزة ، قال : من تقدم في الوقت يقرأ ! قيل له : الكسائي أول من تقدم ، يعنون صاحب الكساء ، فرمقه القوم بأبصارهم ، فقالوا : إن كان حائكاً فسيقرأ سورة يوسف وإن كان ملاحاً فسيقرأ سورة طه ! فسمعهم ، فابتدأ بسورة يوسف ، لما بلغ إلى قصة الذئب ، قرأ (فأكله الذيب) بغير همزة ، فقال له حمزة : الذئب ، بالهمزة فقال له الكسائي : وكذلك أهمز الحوت في :(فالتقمه الحوت)؟ قال : لا قال : فلم همزت الذئب ولم تهمز الحوت؟ وهذا: فأكله الذئب وهذا فالتقمه الحوت . فرفع حمزة بصره إلى خلاد الأحوال . وكان أجمل غلمانه . فتقدم إليه في جماعة من أهل المجلس ، فناظروه ، فلم يصنعوا شيئاً ، فقالوا : أفدنا ، يرحمك الله ! فقال لهم الكسائي : تفهموا عن الحائك ! تقول إذا نسبت الرجل إلى الذئب : قد استذأب الرجل ، ولو قلت : استذاب ، بغير همز ، لكنت إنما نسبته إلى الهزال ، تقول : قد استذاب الرجل ، إذا استذاب شحمه ، بغير همز وإذا نسبته إلى الحوت تقول : قد استحات الرجل ، أي كثر أكله ، لأن الحوت يأكل كثيراً ، لا يجوز فيه

الهمز، فلتلك العلة همز الذئب ، ولم يهمز الحوت وفيه معنى آخر : لا يسقط الهمز من مفرده ، ولا من جميعه ، وأنشدهم :

أيها الذئب وابنه وأبوه *** أنت عندي من أذؤب ضاريا

قال : فسمي الكسائي من ذلك اليوم . ويرويها الزبيدي بإسناده عن العجوزِي بشكل آخر ، وهو" أن الكسائي ارتحل إلى حمزة الزيات ، وعليه كساء جيد ، فجلس بين يديه ، فقرأ ثلاثين آية . وكان حمزة أخذ أكثر من ثلاثين آية فقال له : اقرأ ، فقرأ أربعين ، ثم قال له : اقرأ إلى أن تتم مائة آية ، فقال له : قم . ثم افتقده، فقال : ما صنع صاحب الكساء الجيد؟ فسمي : الكسائي .

وقد كان من الممكن بعد ذلك ، أن يظل الكسائي مجهولاً لايسمع به أحد ، أو أن يشتهرقارئاً للقرآن الكريم فحسب . ولكن حدث له حينذاك حادث غير مجرى حياته ، وجعل منه لُغوياً مشهوراً ، ونحوياً صاحب مدرسة ، إلى جانب شهرته قارئاً من القراء السبعة المعروفين ، فقد جلس يوماً مع جماعة من الناس، وكان قد مشي حتى تعب من المشي ، فقال : قد عَييتُ ، فعابوا عليه هذه الكلمة ، وقالوا له : أتجالسنا وأنت تلحن؟ فسألهم : كيف لحنت ؟ فأجابوه : إن كنت أردت من التعب فقل :أُعيَيتُ ، وإن كنت أردت من انقطاع الحيلة ، والتحير في الأمر، فقل : عَيِتُ . مخففة. ، فأنف من هذه الكلمة ، ثم قام من فوره ذلك ، فسأل عمن يعلمهم النحو ، فأرشدوه إلى معاذ الهراء ، فلزمه حتي أنفذ ما عنده ، ثم خرج إلى البصرة فلقي الخليل وجلس في حلقته ، فقال له رجل من الأعراب :تركت أسداً وتميماً، وعندها الفصاحة وجئت إلى البصرة ؟ فقال للخليل : من أين أخذت علمك هذا ؟ فقال : من بوادي الحجاز ونجد وتهامة ، فخرج الكسائي إلى البادية وأخذ يسائل البدو عن لغتهم ، ويكتب عنهم مايرونه . وتذكر المصادر أنه أنفد خمس عشرة قنينة من الحبر، في الكتابة عن العرب ، سوى ماحفظ . وبعد أن دون العرب مادون وحفظ عنهم ما حفظ، ورجع مرة أخرى إلى البصرة ليجلس في حلقة

الخليل فوجده قد مات، وجلس في موضعه يونس بن حبيب ، فجرت بينهما مسائل ومناظرات ظهر فيها علم الكسائي ، فأقر له يونس فيها ، وصدره موضعه ، وذاع صيته بعد ذلك واشتهر أمره وكان هذا سبباً في انتقاله إلى بغداد ، واتصاله بالخلفاء العباسيين ، فقد روي أن المهدي الخليفة العباسي ، كان عنده مؤدب يؤدب الرشيد ، فدعاه يوماً وهو يستاك ، فقال : كيف تأمر من السواك؟ فقال : استك ، يا أمير المؤمنين . فقال المهدي : إنا لله وإنا إليه راجعون ! ثم قال : التمسوا لنا من هو أفهم من ذا ، فقالوا : رجل يقال له علي بن حمزة الكسائي ، من أهل الكوفة ، قدم من البادية قريباً ، فأمر بإحضاره من الكوفة ، فلما دخل عليه ، قال المهدي : يا علي بن حمزة ! قال : لبيك يا أمير المؤمنين ! قال : كيف تأمر من السواك ؟ قال : سُك ، ياأمير المؤمنين . قال : أحسنت وأصبت وأمرله بعشرة آلاف درهم ومنذ ذلك الحين صار الكسائي مؤدباً للرشيد .

مؤلفاته: ترك الكسائي ثروة كبيرة من المؤلفات ،في النحو واللغة والقراءات . ولا عجب في هذا ، فقد روي عنه أنه " أنفد خمس عشرة قنينة حبر ، في الكتابة " كما سبق أن عرفنا ، ولكن عوادي الزمن ، أتت على ما ألفه ، ولم يصل إلينا إلا القليل من هذا المؤلف الصغير ، من مؤلفاته كتاب " ما تلحن فيه العامة" وجدنا منها ثلاثة مخطوطات ، وهي مهمة وقيمة جداً ،

الأولي : اعتمد عليها بروكلمان ، في برلين بألمانيا، والثانية : اعتمد عليها عبد العزيز الميمني ، في بومباي بالهند ، والثالثة : في مكتبة المتحف العراقي في بغداد ، فإن الكتاب لم يرد له ذكر في كتب الطبقات ، التي ترجمت للكسائي ، مما يشكك في صحة نسبته إليه ، وقد رجح "بروكلمان أن يكون الكتاب من تأليف الكسائي ، إذ يبدو عليه مسحة التأليف القديم ، مثل أستعماله كلمة : "حرف" بمعنى "كلمة" وكلمة : "الألف " للدلالة على : "الهمزة" حتى وإن كانت مكتوبة بالياء ، وكلمة "ميم" لحرف الجر : "من" قياساً على "الباء والام والكاف " هذا

ويروي بروكلمان أن من الأدلة على صحة نسبة هذا الكتاب للكسائي كذلك مقدمته التي تقول : " هذا الكتاب ما تلحن فيه العامة، مما وضعه علي بن حمزة الكسائي للرشيد هارون ، ولابد لأهل الفصاحة من معرفته " . ، فإن الكسائي كان يؤدب ولد الرشيد : الأمين والمأمون.

ونستفيد من كتاب الكسائي هذا تطورات صوتية في نطق العوام ، وأخرى في الصيغ فحسب ، ولايحتوي على أمثلة لظواهر التطور في الدلالة ، أو التطور في التراكيب ، فمن أمثلة التطور الصوتي قوله رقم "1 3" : وتقول : سمور وشبوط و كلوب و سفود ، وكل ما كان على فعول ، بتشديد العين مفتوح الأول .ومن أمثلة التطور الصوتي كذلك قوله رقم "78 " ويقال : فلان مَعدِن العلم ، ولا يقال : معدَن بفتح الدال ، فقد تطورت اللُغة هنا ، بفتح الدال ، لتنسجم مع فتحة الميم ، وذلك من نوع التأثر المقبل الكلي في حالة الانفصال .ومن أمثلة المخالفة الصوتية، وهي إبدال أحد الصوتين المتماثلين صوتاً آخر ، يغلب أن يكون صوتاً متوسطاً ، أو صوت علة قول الكسائي رقم "38 " ويقال أترج وإجانة وإجاص ، هذه الأحرف بإسقاط النون ، فإنه حين ينطق عامة بغداد ، في زمن الكسائي ، هذه الأمثلة : أترنج ، وإنجانة ، وإنجاص ، فإن ذلك يعني بالنسبة للُغويين المحدثين ، حدوث تطور صوتي نتيجة تأثير قانون المخالفة .

ومن أمثلة التطور في الصيغة قوله رقم "49" وتقول : هذه أتان ، للأنثى من الحمير ، وبغير هاء ، إذ يعني هذا أن العوام كانوا ينطقون هذه الكلمة "أتانه" بتطور الصيغة من التأنيث بلا علامة إلى التأنيث بالتاء ، بسبب قانون السهولة والتيسير. ، وكذلك مثل التطور في الصيغة قوله رقم "51 " وأغلقت الباب فهو مغلق ، ولا يقال : مغلوق ، ففي هذا المثال تطور لصيغة "مغلق " إلى "مغلوق" ، قياساً على "مفتوح" بسبب التلازم والتقابل في المعنى ، بين مفتوح ومغلوق ! .(أبي الحسن علي بن حمزة الكسائي ـ 189 هـ ، ص5 . ص80) .

المبحث الثاني

الحريري وبيان ما تلحن فيه الخاصة

اسمه : أبي محمد القاسم بن علي الحريري ، قال الشيخ الأمام أبو محمد القاسم بن علي الحريري رحمه الله ، أما بعد حمد الله الذي عم عباده بوظائف العوارف، وخص من شاء منهم بلطائف المعارف والصلاة والسلام على نبيه محمد العاقب وعلى آله وأصحابه أولي المناقب فإني رأيتُ كثيراً ممن تسنموا أَسنِمة الرتب وتوسموا بسمة الأدب قد ضاهوا في بعض ما يفرط من كلامهم وترعَفُ به مراعِفُ أقلامهم مما إذا عُثِر عليه وأثر عن المعزو إليه خفض قدر

العِليه ووصم ذا الحلية فدعاني الأنفُ لنباهةِ أخطارهم والكَلفُ بإطابةِ أخبارهم إلى أن أدرأ عنهم الشبه وأبين ما ألتبس عليهم وأشتبه لألتحق بمن زكى أكل غرسه وأحب لأخيه ما يحب لنفسه ، فألفت هذا الكتاب تبصرة لمن تبصر وتذكرة لمن أراد أن يذكر وسميته درة الغواص في أوهام الخواص وها أنا قد أودعته من النخب كل لُباب ومن النكتِ ما لا يوجد منتظماً في كتاب هذا إلى ما لمعته به من النوادر اللائقة بمواضعها والحكايات الواقعة في موقعها فإن حَلِى بعينِ الناظر فيه والدارس و أحلاه محل القادح لدي القابس وإلا فعلى الله تعالى أجر المجتهد وهو حسبي وعليه أعتمد .

فمن أوهامهم الفاضحة وأغلاطهم الواضحة أنهم يقولون قَدِمَ سائرُ الحاج واستوفِي سائرُ الخراج فيستعملون سائراً بمعنى الجميع، وهو في كلام العرب بمعنى الباقي ، ومنه قيل لِما يبقى في الإناء سور والدليل على صحته ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لغيلان حين أسلم وعنده عشرة نسوة اختر أربعاً منهن وفارق سائرهن أي من بقي بعد الأربع اللاتي تختارهن، ولما وقع سائر في هذا الموطن بمعني الباقي الأقل ، والصحيح أنه يستعمل في كل باقٍ قل أو كثر لإجماع أهل اللغة على أن معنى الحديث إذا شربتم فأسئروا أي أبقوا في الإناء بقية ما لا أن المراد به أن يُشَبَ الأقل ويبقى الأكثر وإنما نُدِبَ إلى التأدب بذلك لأن الإكثار من المطعم والمشرب منباهُ عن النهم وملامة عند العرب ، ويقولون للمتتابع متواتر فيوهمون فيه، لأن العرب تقول جاءتِ الخيلُ متتابعة إذا جاء بعضها في الإثر ، أن الصحابة رضي الله عنهم لما اختلفوا في المووده قال لهم علي رضي الله عنه ، إنها لا تكون مووده حتى تأتي عليها التارات السبعُ فقال له عمر رضي الله عنه ، صدقت أطال الله بقاءك، وكان أول من نطق بهذا الدعاء وأراد علي رضي الله عنه بالتارات السبع طبقات الخِلَقِ السبعِ المبينةِ في كتاب الله عز وجل . وروي عبدُ خير قال قلتُ لعلي رضي الله عنه إن عليا أيام من شهر رمضان أفيجوز أن أقضيها متفرقة قال أقضيها إن شئت متتابعة، وإن شئت تترى فقلتُ إن بعضهم قال لا تجزي

عنك إلا متتابعة فقال بلى تزي تترى لأنه عز وجل قال فعِدة من أيام أُخر ولو أرادها متتابعة لبين التتابع كما قال سبحانه وتعالى " فصيام شهرين متتابعين " وعند أهل العربية أن أصل تترى وترى فقلبت الواو تاء كما قلبت في تُخمة وتهمة لكون أصولها من الوخامة والوهم والوجه يجوز أن تنون تترى كما تنون أرطي وأن لا تنون مثل سَكرَى وقد قُرِئ بهما جميعاً ، وحكى أبو بكر الصولي قال كتب أحدُ الأدباء إلى صديق له وقد أبطأ جوابه عنه كتبتُ إليك فما أجبتُ فما واترتَ وأصبرتُ ، فما أفردتُ وجمعتُ فما وحدتَ فكتب إليه صديقه الجفاء المستمر على الأزمانِ أحسنُ من بعض الخطابِ للإخوانِ ، ويقولون أزِف وقت الصلاةِ إشارة إلى تضايقه ومشارفه تصرمة فيحرفونه عن موضعهِ ويعكسون حقيقة المعنى في وضعه، لأن العرب تقول أزف الشيء بمعنى دنا و اقترب لا بمعنى حضر ووقع يدُل على ذلك أن الله تعالى سمى الساعة آزِفة وهي منتظرة لا حاضرة وقال عز وجل " فيها أزفت الأزفة" أي دنا ميقاتها وقرب أوانها.

ويقولون زيد أفضل إخوته فيخطئون فيه لأن أفعَلَ الذي للتفضيل لا يضافُ إلا ما هو داخل فيه ومتنزل منزلة الجزء منه وزيد غير داخل في جملة إخوتهِ ، ألا ترى أنه لو قال لك قائل من إخوة زيد لعددتهم دُونه ، فلما خرج عن أن يكون داخِلا فيهم امتنع أن يقال زيد أفضلُ النساء لتميزهِ من جنسهن وخروجه عن أن يعد من جملتهن وتصحيح هذا الكلام أن يقال زيد أفضل الإخوة أو أفضل بني أبيه لأنه حينئذ يدخل في الجملة التي أضيفَ إليها بدلالةِ أنه لو قيل لك من الإخوة أو من بني أبيه لعددته فيهم وأدخلته معهم ، ويقولون : لمن يأخذ الشيء بقوة وغلظة قد تغشرم وهو مُتَغشرِم والصواب أن يقال فيه تغشمر وهو بتقديم الميم على الراء كما قال الراجزُ:

إن لها لسا ئقها عشنزَرَا *** إذا ونينَ ساعةً تغشمرَا

ويروي لها لسائقها عشوزرا وكلاهما بمعنى الشديد ومن كلام العرب قد تغشمرالسيل إذا أقبل بشدة وجرى بجدة . ويقولون : فلان يستاهل الإكرام وهو مستاهل للإنعام ولم تسمع هاتان اللفظتان في كلام العرب ولا صوبهما أحد من أعلام الأدب ، ووجه الكلام أن يقال فلان يستحق التكرِمة وهو أهل للمكرمة . ويقولون : إذا أصبحوا سَهِرنا البارحة وسرينا البارحة والاختيارُ في كلام العرب على ما حكاه ثعلب أن يقال مُذ لدُنِ الصبح إلى أن تزول الشمس سرينا الليلة وفيما بعد الزوال إلى آخر النهار سهرنا البارحة ، ويتفرع على هذا أنهم يقولون مُذُ ، انتصاف الليل إلى وقت الزوالِ صُبحت بخيرِ وكيف أصبحت ويقولون إذا زالتِ الشمس إلى أن ينتصفُ الليل مسيت بخير وكيف أمسيت .(أبي محمد القاسم بن علي الحريري 1998م، ص2 . ص11).

المبحث الثالث

الجواليقي في حصرالمعرب والدخيل

اسمه : هو موهوب بن أحمد محمد بن الحسن بن الخضر أبو منصور الجواليقي ،ولد في شهر ذي الحجة سنة خمس وستين وأربعمائة عاصر أبو منصور الدولة السلجوقية وشهد التقلبات السياسية والثقافية التي حدثت في هذا العصر ، لذلك كان لابد من الاطلاع على الظروف التي أحاطت بالجواليقي خلال حياته يقول الجواليقي لقد دخل في اللُغة العربية منذ أقدم العصورمئات من الكلمات من لُغات شتى وتكلمت بها العرب ، وأوردها الفصحاء في كلامهم وذكرها الشعراء في أشعارهم وورد بعضها في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف .

لقد اهتم علماء اللُغة بهذه الطائفة من الكلمات ووضعوا لمعرفتها ضوابط وسموها الكلمات المعربة أو المُعربة ، قال الجوهري (عرب) : "تقول عربته العرب أو أعربته" لم يستعمل سيبويه إلا المعرب بسكون العين وفتح الراء .

والتعريب هو نقل اللفظ من العجمية إلى العربية ويفهم من كلام علماء اللُغة أن المعرب يجب أن يتوفر فيه شرطان لكي يطلق عليه اسم المعرب . أولهما : أن يكون اللفظ الأعجمي المنقول إلى اللغة العربية قد جرى عليه إبدال في الحروف، وتغيير قي البناء حتى صار كالعربي . وإلى هذا أشار الجوهري بقوله : "تعريب الاسم الأعجمي أن تتفوه به العرب على منهاجها" والشرط الثاني : أن يكون اللفظ قد نقل إلى العربية في عصر الاستشهاد ، ذلك بأن يرد في القرآن الكريم أو الحديث النبوي الشريف أو كلام العرب الذين يحتج بكلامهم ، ولذلك نرى أن أصحاب المعاجم كثيراً ما يقولون بعد ذكر المعرب : "وقد تكلمت به العرب" ، ففي المعرب في ترجمة البخت والديباج : "معرب وقد تكلمت به العرب " وفي ترجمة الجؤذر والدمقس : "معرب

. وقد تكلمت به العرب قديماً " وفي ترجمة الدرنوك : " يقال إن أصله غير عربي . وقد استعملوه قديماً " . وفي ترجمة دمشق : " أعجمي معرب . وقد جاء في أشعار العرب " ولهذا السبب نفسه قال الجواليقي عن كتابه : " هذا كتاب نذكر فيه ما تكلمت به العرب من الكلام الأعجمي ، نطق به القرآن الكريم وورد في أخبار الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين ، وذكرته العرب في أشعارها وأخبارها ليعرف الدخيل من الصريح"

وأما ما نقل إلى العربية بعد انقضاء عصر الاستشهاد فيسمى "مولداً" قال الخفاجي : "وما عربه المتأخرون يعد مولداً ، وكثيراً ما يقع مثله في كتب الحكمة والطب" ومن أخثلة ذلك الحب قال الجواليقي : " أما الحب الذي يجعل فيه الماء ففارسي معرب وهو مولد" وكذلك إذا غير المحدثون حركة في كلمة معربة عربت قديماً يعد هذا النطق الحديث لها مولداً . فقالوا إن فتح دال الديباج مولد ، غير أن "المولد" لفظ عام يشمل كل ما أحدث من الكلمات بعد انقضاء عصر الاستشهاد سواء أكان ذلك عن طريق النقل من اللُغات الأعجمية أم الاشتقاق من معرب أم الاشتقاق من كلمة عربية أم الارتجال . ، لقد مر فيما مضى أمثلة القسمين الأول والثاني .

أما القسم الثالث وهو إحداث كلمة عن طريق الاشتقاق من كلمة عرب قديمة فمثاله "البرهان" قال الأزهري : ونون البرهان ليست أصلية . وقولهم : برهن فلان إذا جاء بالبرهان مولد، والصواب أن يقال : أبره . ، وذكر الجواليقي في المعرب كلمات من هذا القسم أيضاً . ومثال ذلك القرع ، قال في ترجمته : " فأما القرع الذي يسمى الدباء فليس من كلام العرب ، قال ابن دريد : أحسبه مشبهاً بالرأس الأقرع، فالكلمة عربية الأصل غير أن هذه الصيغة وهذا المدلول لم يكونا معروفين عند العرب القدامى . ولا يقصد ابن دريد بقوله : "ليس من كلام العرب " نفي العروبة عن الكلمة ، إنما يقصد انها ليست من كلام العرب المعتمد بكلامهم .

أما الدخيل فهو مأخوذ من قولهم : " فلان دخيل في بني فلان " إذا كان من غيرهم ، ويستعمله علماء اللُغة كأنه مرادف للمعرب وكأنه مدلولهما واحد ، وأحياناً يشيرون إلى الكلمة الأعجمية بالكلمتين معاً ، ويبدو أن الفرق بين المعرب، والدخيل هو أن الدخيل أعم من المعرب . فيطلق على كل ما دخل في اللُغة العربية من اللُغات الأعجمية سواء أكان ذلك في عصر الاستشهاد أم بعده ، وسواء أخضع عند التعريب للأصوات والأبنية العربية أم لم يخضع ، وسواء أكان نكرة أم علماً . ذلك أن من اللُغويين من لا يسمى العلم من الدخيل معرباً ، قال الفيومي : وأما ماتلقوه علماً فليس بمعرب ، وقيل فيه أعجمي مثل إبراهيم وإسحق . ولذلك سمي الخفاجي كتابه : "شفاء العليل فيما في كلام العرب من الدخيل" فذلك يشمل المعرب والمولد والأعجمي .

هنالك ضوابط لمعرفة الدخيل : لايكفي مجرد اتحاد الحروف بين كلمتين إحداهما عربية والأخرى أعجمية للحكم على الأولى أنها مأخوذة من الثانية من غير أن نأخذ في الاعتبار أموراً أخرى مهمة كاشتقاق الكلمتين وتطورهما عبر العصور وتاريخ الاتصال بين اللغة العربية واللغة التي منها هذه الكلمة المشابهة للكلمة العربية ، ولايمكن دفع العجمة عن كلمة دخيلة من غير الرجوع إلي أصلها وتاريخها ، ومثال ذلك أن الجواليقي ذكر كلمة دِرفس في المعرب وقال إنها فارسية ، ولم يشر إلى عجمته أحد من أصحاب المعاجم . وهناك أمور يجب على الباحث مراعاتها عند النظر إلى في الدخيل هي :

1 . يتتبع تاريخ الكلمة الدخيلة في لُغتها الأصلية حتى يعرف الصيغة التي دخلت في اللُغة العربية ، فإن الكلمات تتغير بمرور الزمن ، ومن ثم فقد تكون الصيغة الحديثة لكلمة ما لا تطابق الكلمة الموجودة في اللُغة العربية . ومثال ذلك (سهريز) لنوع من التمر قال اللُغويون إنه فارسي معرب، وأن أصل معناه بالفارسية "الأحمر" غير أن الكلمة الفارسية التي تعني

أحمر"سرخ" وليس "سهر" ولكن إذا تتبعنا تاريخ هذه الكلمة في اللُغة الفارسية وجدنا أنها كانت بالفهلوية "سخر" بتقديم الخاء على الراء ، وهذه هي التي دخلت في اللُغة العربية ثم تغير بناء الكلمة في الفارسية وتقدمت الراء على الخاء .

2 . ينتبه إلى ما يطرأ على أصوات الدخيل وبنائه من إبدال وتغيير وتقديم وتأخير فإن هذا قد يغير معالم الكلمة بحيث لا يمكن التعرف على أصلها . فكلمة ياقوت أصلها اليوناني "هياكنثوس" وقد يبدو في أول وهلة أنه لا يمكن أن يكون الثاني أصل الأول . ولكن إذا تتبعنا التغيرات الصوتية التي وقعت في الكلمة اتضح لنا ما حدث لها أمر طبيعي .

3 . ينتبه إلى ما يحذف من أصل الكلمة عند التعريب ، فكثيراً ما تحذف من الدخيل حروف خاصة ما يقع عند الطرف ، منها السين التي تقع في أواخر الأسماء اليونانية وهي علامة الرفع تثبت في كلمات وتسقط في أخرى فثبتت في طاؤوس وناموس وأوقيانوس وما إلى ذلك . وسقطت من فردوس وأسطول وبيطار وما إلى ذلك .

كما نذكر هنا الضوابط التي وضعها علماء اللُغة لمعرفة الدخيل ، تعرف عجمة الكلمة بوجوه منها:

أ. النقل بأن ينقل ذلك أحد أئمة اللغة : فقد اعتنى أئمة اللُغة العربية بهذه الطائفة من الكلمات اهتماماً بالغاً وأشاروا إلى عجمتها وبينوا أصلها ودلالتها في لُغاتها وما آلت إليه بعد التعريب من حيث البناء والدلالة .

ب . ائتلاف الحروف : يمكننا معرفة الدخيل بائتلاف حروفه فقد يتكون من حرفين متنافرين لا يجتمعان في كلام العرب .

ج . الخروج عن أوزان الأسماء العربية : لقد غيرت بناء الكلمات الدخيلة عند التعريب لتوافق الأبنية العربية إلا أن كثيراً من الكلمات لم يكن من الممكن إخضاعها للأوزان العربية فتركوها على حالها ، فخروج الكلمة عن الأوزان العربية علامة من علامات الدخيل .

د . كثرة اللُغات : نجد لكثير من المعربات أكثر من لُغة ، فقالوا فرند وبرند . قالوا : فالوذ وفالوذق ، يرجع هذا الاختلاف إلى أن كل من قام بالتعريب سلك مسلكاً معيناً في تغيير الحروف غير العربية التي تتكون منها الكلمة الأعجمية .

(أبي منصور الجواليقي ، 1410هـ . 1990م ، المعرب ، ص13 . ص26) .جمع الجواليقي في كتابه عدد كبير من الشواهد اللُغوية المتعددة والمختلفة منها :

القرآن الكريم:

أورد عدد من الآيات التي احتوت على كلمات معربة ، ومن ذلك قوله تعالى :(أخرَجَ شطئهُ فَأزرهُ) "سورة الفتح الآية 29" وقوله تعالى :(كَطيِ السجِلِ للكُتُبِ) "سورة الأنبياء الآية104" وقوله تعالى :(عيناً فيها تُسمى سلسبيلاً) "سورة الإنسان الآية 18" وقوله تعالى :(كان مزاجها كافُورا) "سورة الإنسان الآية 5" والألفاظ المعربة في هذه الآيات : أزر معناها اسم أبي إبراهيم .

السجل معناها الرجل بلُغة الحبشية ، وقيل كاتب للنبي عليه السلام أو قيل كاتب ، سلسبيل معناها سلسه في جريها سريعة ، وهي صفة لما كان في غاية السلاسه. الكافور معناه المشموم من الطيب.

الحديث الشريف: أورد عدد من الأحاديث النبوية التي احتوت على ألفاظ معربة مثل :عن انس قال:"رأيتُ الرسول صلى الله عليه وسلم يجمع بين الخربز والرطب ، والخربز معناه البطيخ بالفارسية.

الخفاجي: اسمه: هو أحمد بن محمد عمر المصري القاضي شهاب الدين المعروف بالخفاجي الأديب الحنفي ، ولد سنة 977هـ.عاش الخفاجي في عهد الأمبراطورية العثمانية التي استطاعت بقوتها أن تدحر المماليك البحرية سنة 723هـ ومدت سلطانها في الحجاز وأوربا وأفريقيا.

مؤلفاته : "كتاب الريحانة واسمها ريحانة الالبا و زهرة الحياة الدنيا" ، وهو كتاب مطبوع عبارة عن تراجم أدبية واسعة لشعراء القرن الحادي عشر وأدبائه وعلمائه في مصر والشام واليمن والحجاز والمغرب."كتاب طراز المجالس" وهو كتاب مطبوع كتاب أدب ولُغة بناه على خمسين درساً فيه موضوعات كثيرة من بلاغة وأدب ولغة تفسير وحديث وتاريخ. "كتاب شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل" وهو كتاب مطبوع صدره بمقدمة في التعريب ثم أورد الكلمات المعربة مرتبة على حروف المعجم. "كتاب شرح الغواص في أوهام الخواص" وهوكتاب مطبوع شرحه وتعقب كل ما أورده الحريري ورد عليه بحجج وشواهد قوية. "كتاب ديوان الأدب في ذكر شعراء العرب" وهو كتاب مفقود ذكر فيه مشاهير الشعراء العرب والولدين .(الخفاجي ، 1967م ص5) شواهد الكتاب : تنوعت الشواهد اللغوية التي كان يوردها الخفاجي في كتابه وذلك لأنه تتبع هذه الكلمات من أقدم العصور حتى عصره (العصر الحادي عشر) ومن هذه الشواهد: القرآن الكريم: كان للقرآن الكريم مكانة كبيرة وكثرة استشهاده بالآيات القرآنية ومن ذلك: قوله تعالى (ورهبانية ابتدعوها) "سورة الحديد الآية 27" وقوله تعالى (تؤتي أكلها حين) "سورة إبراهيم الآية25".والكلمات المعربة في الآيات هي : إبداع وهو لفظ لا يستعمل لغير الله عز وجل لا حقيقة ولا مجاز أما أبتدع على وزن أفتعل فيجوز استعمالها لغير الله كما ورد في الآية .، الآكلة بالمد مرض معروف أما الأكل فهو المأكول .

الأحاديث النبوية: كذلك جعل الأحاديث النبوية مكانة في مصنفه ومن أمثلة ذلك : قال : انس إن لي أبزن ومعناها الحوض الصغير فارسي آب زن . ، وردفي حديث عائشة : كان إذا اغتسل دعا بشي من الجُلابُ " الكلمة المعربة هي الجُلابُ وهو إناء يحلب فيه وقيل ماء الورد فارسي معرب . وفي الأشعار، قال الأعشى :

في مقَيل الكنَاسِ إذا وقَد اليوم * * * إذَا الظل أحرزتهُ الساقُ

الكلمة المعربة هي انتعل الظل أي دخل في وقت الزوال وهو كثير في كلام المتقدمين يقولون : جاء حيث افترش كل شيء ظله ، وانتعل كل شيء ظله (الأعشى ، 1977م، ص127). وقال عنترة بن شداد :

فأرَى مَغَانمَ لَو أشاءُ حَويتُها *** فَيَصدُني عَنهَا كَثيرُ تَحشَمي

الكلمة المعربة هي حَشِمُ والحشمة الغضب ويكون بمعنى الآستحياء أيضاً.(عنترة بن شداد، 1984م ، ص207).

المبحث الرابع

عوامل التلاقي بين كتب النحو واللحن

إن مشكلة الفصيح والعامي قائمة في كل عصر في التاريخ الإسلامي ، ولا نستطيع أن نعد شيوع اللحن دليلاً على نشوء العامية فقد عرف اللحن في أوائل العصر الإسلامي ، وقد ظهر على ألسنة الطبقة المثقفة المتعلمة ، ففي الأخبار أن عمر بن الخطاب قد أدب أولاده بسبب اللحن، وأن عبد الملك بن مروان كان يحذر أبناءه من اللحن لأن اللحن في منطق الشريف أقبح من آثار الجدري في الوجه ، وقد أشار الأصمعي إلى اللحن في لُغة مالك بن أنس ومعلوم أن مالكاً هذا يحتل مكانة عالية بين الطبقة المثقفة، ويرجع إليه في مسائل كثيرة ، وقد فطن النحاة إلى أن اللحن قد عرض لقراء القرآن الكريم فهم يعيبون على نافع مقرئ أهل المدينة أنه قرأ (معائش) بالهمزة وكان حقها أن تقرأ بالياء فقد كان الغرض من وضع قواعد النحو حفظ لغة التنزيل أن يتسرب إليها اللحن والأخذ باللُغات الإقليمية (إبراهيم السامرائي ، 1987م، ص153 ـ ص154).

وقد بدأ الاختلاف اللهجي واضحاً في الجزيرة العربية نتيجة لاتصال أهلها ولقاء بعضهم ببعض في التجارة والأسواق التي كانت تعقد للأدب والشعر وهم وإن كانوا يرجعون في هذه الأسواق إلى الفصحى ، فإن لهم لهجاتهم التي كانت تتسرب إلي منطقهم في بعض الأحيان وكانوا يتكلمون بها في شؤونهم الخاصة ، ولابد أن جزيرة العرب باتساعها ورحابتها كانت مدعاة إلى اختلاف البيئات مما هيأ للجات أن تنشأ وأن تتصارع فيما بينها حتى أدى ذلك إلى سيادة لُغة عامة بين العرب جميعاً ، ولم يكن الخلاف جوهرياً بين اللهجات العربية للصلة القائمة بين

العرب . (عبد الغفار حامد هلال ، 1999م ، ص77). ولعل أول من اهتم بهذه القضية قضية اللحن، وأولاها عنايته : علي بن همزة الكسائي (ت 189هـ) حيث ألف كتابه :"ما تلحن فيه العامة" وقد ركز جهوده في بيان اللحن في المستويين الصوتي والصرفي فقط (الكسائي ،189هـ ، ص78).ولعل ذلك يرجع إلى أن هذين المستويين هما اللذان برز فيهما اللحن في عصره بروزاً يحتاج إلى من يقومه .

وألف ابن السكيت (ت 244هـ) كتابه : "إصلاح المنطق" ولم يقدم له بمقدمة توضح موضوعه والهدف من تأليفه ولكن من خلال تصفح الكتاب يتضح أن " هذا الكتاب أراد ابن السكيت به أن يعالج داءً كان قد استشرى في لُغة العرب والمستعربة ، وهو داء اللحن والخطأ في الكلام " (ابن السكيت ، إصلاح المنطق ، ص12) وألف بن قتيبة (ت 276هـ) كتابه " أدب الكاتب" لما رأى من الكُتاب في زمانه قد عجزوا وأعفوا أنفسهم من كد النظر ، وقلوبهم من تعب التفكير، حين نالوا الدرك (أي : المطلوب) بغير سبب ، وبلغوا البغية بغير آلة ، لذا وقع بعضهم في التصحيف ، فنشط بن قتيبة إلي تأليف كتابه هذا ، كي يسترشد به الكاتب ، ويجبر ما عنده من نقص .(ابن قتيبة ، أدب الكاتب ، ص9) وألف أبو العباس أحمد بن يحي (ت 291هـ) كتابه " الفصيح" ويتضح من اسمه ومقدمته أنه عُني فيه باختيار الفصيح والأفصح (أبي العباس أحمد بن يحي ، 1997م، ص260) ، ومن المعلوم أن هذا الكتاب، على رغم صغر حجمه، قد ذاع صيته وانتشر في الآفاق ، وأُلفت كتب كثيرة حوله ، وتنوعت هذه الكتب بين شرح ونظم وتهذيب واستدراك ونقد وانتصار له (أبي سهل الهروي ،1420هـ ، ص30) وألف أبو بكر محمد بن حسين بن مذحج الزبيدي (ت 379هـ) كتابه " لحن العوام" وذكر في مقدمته أن سبب تأليفه هو فشو اللحن وكثرته بعد اختلاط العربي بالنبطي ، والتقاء الحجازي بالفارسي ، ودخول الدين أخلاط الأمم ، وسواقط البلدان ، وأنه نظر في المستعمل من الكلام في زمانه وبأفقه ، فألفي جُمَلاً مما أفسدته العامة ، فأحالوا لفظه ، أو وضعوه غير موضعه

وتابعهم على ذلك الكثرة من الخاصة ، حتى ضمنته الشعراء أشعارهم، واستعمله جلة الكُتاب وعليه الخدمة في رسائلهم وتلاقوا به في محافلهم ، فرأى أن يُنبه عليه ويبين وجه الصواب فيه ، فكان كتابه هذا (محمد بن علي بن محمد، أبو سهل الهروي،1420هـ ، ص32).

الخاتمة

وصفوة القول وخلاصته تصل هذه الدراسة لعدة نتائج هي :

1.أن مصطلح اللحن في العربية له عدة معان يدل عليها السياق الذي يرد فيه ويعني عند النحاة واللُغويين اللانحراف عن قواعد العربية في النطق والكتابة والأبنية الصرفية والقواعد النحوية.

2.تمثل اللحن في مظاهر عدة منها: نطق بعض الأصوات والخطأ في كتابة بعض الحروف وقراءتها والميل والإنحراف عن الأبنية الصرفية الصحيحة والخطأ في استخدام بعض المفردات في غير ما تدل عليه والخطأ في ضبط أواخر الألفاظ عند تأليف الجمل .

3.وقع اللحن في العربية الفصحى لعدد من الأسباب منها: اختلاط العرب بالعجم بسبب دخولهم في دين الله افواجاً، وانشغال غير العرب من الموالي بالعلم وهم ليسوا من ذوي الملكة الفصيحة وغير ذلك.

4.ظهر اللحن في العربية الفصحى وفشا منذ العصر الأُموي واستشرى في العصر العباسي.

5.بذل العلماء وأهل الشأن من حُكام وخلفاء جهوداً كبيرة في مقاومة اللحن تمثلت في نقط الإعراب ونقط الأعاجم وإنشاء علم النحو والصرف وجمع اللُغة وتأليف المعاجم.

6.تتبع بعض اللغويين والنحاة اللحن فحصروه وجمعوه في كتب وبينوا صوابه وتمثل ذلك في كتب لحن العامة.

فهرس الآيات النظرية

السورة	رقم السورة	رقم الأية
سورة الانبياء	21	104
سورة السجدة	32	22
سورة الاحزاب	33	22
سورة محمد	47	30
سورة الفتح	48	29
سورة الانسان	77	18 ,5
سورة العاديات	100	11 , 1

المصادر والمراجع

1. إبراهيم السامرائي ، التطور اللغوي التاريخي ،1987م ،.
2. إبراهيم إنيس ، أسرار اللغة ، 1967م،.
3. ابن السكيت،إصلاح المنطق، تحقيق،محمد عبد السلام،1989م،.
4. ابن النديم ، الفهرست ، 1985م ،.
5. ابن جني ، الخصائص ،1955م،.
6. ابن خلدون ، المقدمة، 1377م،
7. ابن دريد، جمهرة اللغة،1987م،.
8. ابن سلام ، طبقات فحول الشعراء ، 1987م،.
9. ابن سلمة،الفاخر فيما تلحن فيه العامة،1960م .
10. ابن قتيبة ،غريب الحديث، تحقيق،عبدالله الجبوري، نشر وزارة الأوقاف العراقية،1985م.
11. أبو الطيب البغدادي ،مراتب النحويين واللغويين،1955م،.
12. أبو بكر محمد بن الحسن ، طبقات اللغويين والنحويين ،1954م،.
13. أبي الحسن أحمد بن فارس،مقاييس اللغة،1400هـ،.
14. أبي الحسن علي بن حمزة الكسائي ، ما تلحن فيه العامة، 189هـ،.
15. أبي العباس أحمد يحي ، الفصيح، 1997م،.
16. أبي منصور الجواليقي ، المعرب ،1990م ،.
17. أحمد بن فارس،مجمل اللغة،1986م ،.
18. أحمد حسن الزيات ،تاريخ الأدب العربي ، 2000م ،.
19. أحمد محمد قاسم ،الإقتراح في علم أصول النحو،1976م،.
20. أحمد محمد قدور،تراث لحن العامة، 1991م،.

21. أحمد مختار عمر، تاريخ اللغة العربية في مصر والمغرب ، 1996م، ،.
22. أحمد مختار، معجم الصواب اللغوي ،2017م،.
23. الأعشى، الديوان، 1977م،.
24. أمجد الطرابلسي ، نظرة تاريخية في حركة التأليف عند العرب في اللغة والأدب ،1986م،.
25. أمين الخوالي، مشكلات حياتنا اللغوية ،1965م،دارالمعرفة،القاهرة.
26. التواتي بن التواتي ، المدارس النحوية ، 2008م ،.
27. توفيق محمد شاهين، علم اللغة العام ، 1980م،.
28. الجاحظ البيان والتبيين، تحقيق عبدالسلام هارون،1996م.
29. جلال الدين السيوطي ، الأتقان في علوم القرآن ، 1987م ،.
30. جلال الدين السيوطي ،الإقتراح ، 2003م ،.
31. جوليت غار مادي ، اللسانة الإجتماعية ، تعريب خليل أحمد خليل، دار الطليعة،بيروت للطباعة والنشر ،ط1990،1م،.
32. الحريري ، درة الغواص ،1987م،.
33. حسن خميس الملخ ، التفكير العلمي في النحو العربي ، 1976م ،.
34. حسن نصار ،المعجم العربي،القاهرة ،دار مصرللطباعة،1988م،ج1،ص18،.
35. حمزة بن الحسن الأصفهاني ،التنبيه على حدوث التصحيف،دار صادر ،بيروت ،1992م.
36. الحموي، ياقوت بن عبد الله الرومي ،أرشاد الأديب إلي معرفة الغريب ،626هـ.
37. الخفاجي ريحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا، 1967م.
38. الدنيوري ، عيون الأخبار، 1963م،.
39. الذهبي ، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ،1987م، .
الرازي ، الزينة في الكلمات الإسلامية العربية ، 1994م.

40. الراغب الأصفهاني ،تحقيق،صفوان عدنان،مفردات ألفاظ القرآن ،1412هـ.دارالقلم دمشق.
41. رمضان عبد التواب،فصول في فقه العربية،القاهرة ،مكتبة زهراء،2000م.
42. سعيد أحمد بيومي ، أم اللغات،1997م.
43. سعيد جاسم الزبيدي القياس في النحو العربي نشأته وتطوره، 1995م .
44. السيرافي ، أخبار النحويين البصريين ، 1975م .
45. السيوطي ، الإقتراح في علم أصول النحو، 1998م.
46. شرف الدين علي الراجحي ، اللغة عند الكوفيين، 2002م .
47. الشهابي ، أخطاء تنقلها محطات الإذاعة ، 1967م .
48. شوقي ضيف ،المدارس النحوية،دار المعارف القاهرة،1988م.
49. عبد التواب ، فصول في فقه اللغة، 1987م .
50. عبد الحي بن أحمد بن محمد العكبري الحنبلي ، شذرات الذهب ،ط1406،1هـ،
51. عبد الرحمن الحاج صالح، اللغة العربية وتحديات العصر في البحث اللغوي وترقية اللغات،1997م.
52. عبد العزيز عتيق ،المدخل إلي علم النحو والصرف ، 1993م.
53. عبد الغفار حامد هلال ، اللهجات العربية نشأةً وتطوراً،1999م.
54. عبد الفتاح سليم،اللحن في اللغة العربية،مظاهره ومقاييسه،1989م،دار المعارف القاهرة.
55. عبد الفتاح فرح ضوء،المهارات اللغوية،الرياض مكتبة الرشد،ط2009،1م.
56. عبد الملك مرتاض،نظرية اللغة العربية،دار البصائر للنشرالجزائر،ط2012،1م.
57. عبدالفتاح سليم،موسوعة اللحن في اللغة مظاهره ومقاييسه،2009م.
58. العسكري ، الفروق في اللغة،1981م.
59. علوان عبد الجبار، الشواهد والإستشهاد في النحو،1976م.

60. علي بن الحسن المسعودي،مروج الذهب ومعادن الجوهر،المؤسسة الوطنية للفنون الطبيعية الجزائر،1990م،ج1.
61. عنترة بن شداد، الديوان ، 1984م.
62. عون حسن ،تطور الدرس النحوي ،1970م.
63. القتال الكلابي،الديوان، 1989م.
64. كارم السيد غنيم ، اللغة العربية والصحوة العلمية الحديثة ، 1955م .
65. كمال بشير، علم اللغة الإجتماعي مدخل ،1997م .
66. محمد التنوجي و راجي الأسمر،2001م.
67. محمد الطنطاوي ، نشأة النحو وتاريخأشهر النحاة ،دار المعارف ،1967م.
68. محمد المختار ، تاريخ النحو العربي في المشرق والمغرب،دار التقريب بين المذاهب الإسلامية بيروت ،ط1، 2001م.
69. محمد بن أحمد بن هشام ، الفوائد المحصورة في شرح المقصورة ، 2007م .
70. محمد بن علي بن محمد ، أبو سهل الهروي ، إسفار الفصيح ،1420هـ.
71. محمد جاد المولى ، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، 1967م .
72. محمد حسن، الدراسات اللغوية عند العرب ، 1980م.
73. المقريزي ، امتاع الأسماع ،1941م .
74. مهدي المخزومي ، الخليل بن أحمد الفراهيدي أعماله ومنهجه ، 1960م .
75. يوسف بن محمد بن عنترة وآخرون، كتاب الحلية، 2005م.